





كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
تصنيف الامام العلامة ابي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه الله عليه ورضوانه

ويليه المضنون به على غير اهله للعلامة المذكور
قانون الكلي في التاويل له
قسطاس المستقيم له

مما ساقه سايق التقدير الى سلك
ملك الفقير ابراهيم الحمدي
في غرة شعبان سنة ١٠٨٢ من الهجرة

مما ساقه سايق التقدير الى ملك الفقير
حسن بن عبد المحسن الجعفري عفا عنه الملك القدير



بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

قال الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله
احمد الله تعالى استسلاما لعزته، واستتماما لنعمته، واستغناما
لتوفيقه وطاعته، واستعصاما من خذلانه ومعصيته،
واستدرارا لسوابغ نعمه، واصلي على محمد عبده ورسوله
خير خليقته، انقيادا للنبوة واستجلابا لشفاعته وقضاء لحق
رسالته، واعتصاما بيمن بعثته، وعلى آله واصحابه وعترته
اما بعد فاني رايتك ايها الاخ المشفق والصديق المتعصب
موغر الصدر منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة
من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في اسرار معاملات الدين
وزعمهم ان فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايخ
المتكلمين وان العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر
ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر، فهون ايها الاخ المشفق المتعصب
على نفسك ولا تضيق به صدرك وفل من غربك قليلا، واصبر
على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف
واستصغر من بالضلال والكفر لا يعرف، فاي داع اكمل واعقل
من سيد المرسلين وقد قالوا انه معلم مجنون من المجانين، واي

كلام

كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير
الاولين، واياك ان تشتغل بخصامهم، وتطمع في افحامهم فتطمع في
غير مطمع، وتضطرب في غير متسع، اما سمعت ما قيل

كل العداوة قد ترجى ازالتها، الا عداوة من عاداك من حسد

ولو كان فيها مطمع لاحد من الناس لما تلي على الجلي رتبة آيات الكتاب
او ما سمعت قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون
وقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم
يجهلون واعلم ان حقيقة الكفر والايمان وحدهما والحق
والهدى والضلال وسرهما لا ينجلي للقلوب المدنسة بطلب الجاه
والمال وحبهما بل انما ينكشف دون ذلك لقلوب طهرت عن اوضار

وحدهما والحق والضلال
وسرهما

بل انما ينكشف ذلك

الدنيا اولا ثم صقلت بالرياضة البالغة ثانيا • ثم نورت بالذكر
الصافي ثالثا • ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا • ثم زينت بلازم
حدود الشرع خامسا • حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة
وصارت كانها مرآة مجلوة واصبح مصباح الايمان في زجاجة قلبه
مشرق الانوار يَكَادُ زَيْتُهُ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ فانى يتجلى
اسرار الملكوت لقوم الٰهُهُم هواهم ومعبودهم سلاطينهم وشهواتهم
وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وارادتهم جاههم
وعبادتهم خدمتهم اغنياهم وذكرهم وسواسهم وفكرهم استنباط
الحيل لما تقتضيه حشمتهم فهولاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء
الايمان ابالهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات لقبولها
الدنيا لقبوله ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسئلة ازالة
النجاسة بماء الزعفران وامثالها هيهات هيهات هذا المطلب النجاسة بالهوى
انفس واعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل انت
بشانك ولا تضيع بقية زمانك فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا فيهم
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ

فصل

فاما انت ان اردت ان تنزع هذه الحسكة عن صدرك وصدر ان تنزع

من هو

من هو في مثل حالك ممن لا تحركه غواية الحسود ولا يقيده
عماية التقليد بل يعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال اثارها فكر
وهيجها نظر فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر
فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري او مذهب
المعتزلي او الحنبلي وغيرهم فاعلم انه غر بليد قد قيده التقليد
فهو اعمى من العميان فلا تضيع باصلاحه الزمان وناهيك حجة في
افحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه اذ لا يجد بين نفسه وبين
ساير المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا ولعل صاحبه يميل من بين ساير فرقا
المذاهب الى الاشعري ويزعم ان مخالفته في كل ما ورد وصدر
من الكفر الجلي فاساله من اين يثبت له كون الحق وقفا عليه حتى ثبت
قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم انه ليس
هو وصفا زائدا على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفة
الاشعري من الاشعري بمخالفة الباقلاني ولم صار الحق وقفا على احدهما
دون الثاني اذلك لاجل السبق بالزمان فقد سبق الاشعري غيره
من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ام لاجل التفاوت في الفضل
والعلم فباي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له ان وميكال
لا افضل في الوجود من متبوعه ومقلده فان رخص للباقلاني في مخالفته

الكراسي

فلا يحجر على غيره وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي
وغيرهم وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة وان زعم ان خلاف الباقلاني
يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين
زاعماً انهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في ان ذلك (متفقان)
يرجع الى الذات او الى وصف زايد عليه خلاف قريب لا يوجب
التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات وهو معترف
بان الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات وانما يخالف (المقدورات)
الاشعري في انه عالم بالذات او بصفة زايدة فما الفرق بين
الخلافين واي مطلب اجل واخطر من صفات الحق سبحانه والنظر (فاي مطلب)
في نفيها واثباتها فان قال انما اكفر المعتزلي واشدد لانه يزعم
ان الذات الواحدة يصدر منها فايدة العلم والقدرة والحيوة وهذه
صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقايق المختلفة تستحيل ان توصف
بالاتحاد او يقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد
من الاشعري قوله ان الكلام صفة واحدة قايمة بذات الله
تعالى ومع كونه واحدا هو تورات وانجيل وزبور وفرقان
وامر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقايق مختلفة وكيف لا
وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق

وكك

الا الامر والنهي

ذلك الا الى الامر والنهي وكيف يكون حقيقة واحدة تتطرق
اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجمع بين النفي والاثبات
فان تخبط في جواب هذا وعجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه
ليس من اهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت
عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستتبعا (طرق)
لا تابعا واماما لا ماموما فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه
فضول والمشتغل به ضارب في حديد بارد وطالب لاصلاح فاسد
وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ۞ ولعلك لو تصفحت علمت (ان انصفت)
ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر
والتناقض اقرب اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المعصوم
من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر
الا بمخالفته ۞ واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب
النظر ويحرم التقليد وكيف يقول يجب عليك النظر مع تقليدي
او يجب عليك ان ينظر ولا ترى في نظرك الا ما رايت فكل ما رايته (وان لا ترى)
حجة فعليك ان تعتقده حجة وما رايته شبهة فعليك ان تعتقده
شبهة واي فرق بين من يقول قلدني في مجرد مذهبي وبين من
يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا التناقض

فصل لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تناقض
عندك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل
ومدركه غامض ولكني اعطيك علامة صحيحة مطردة منعكسة
لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق و (فترعوي)
تطويل اللسان في الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين (اهل صح)
بقول لا اله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها
فاقول الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما
جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به واليهودي والنصراني
كافران بتكذيبهما الرسول والبرهمي كافر بطريق الاولى لانه (عليه السلام صح)
انكر مع رسولنا ساير المرسلين والدهري كافر بطريق الاولى (واهل الزندقة كفار صح)
لانه انكر مع الرسول ساير المرسل وهذا لان الكفر حكم
شرعي كالرق والحرية مثلا اذ معناه اباحة الدم والحكم بالخلود في النار
ومدركه شرعي فيدرك اما بنص واما بقياس على منصوص وقد
وردت النصوص في اليهود والنصارى والتحق بهم بطريق الاولى
البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية فكلهم مشركون فانهم
مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب
فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة **فصل**

اعلم ان الذي

اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل
الغور لان كل فرقة تكفر مخالفيها فتنسبه الى تكذيب (مخالفيها)
الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الاشعري زاعما انه كذب
الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش والاشعري
يكفره زاعما انه مشبه وكذب الرسول في انه ليس كمثله شيء و
الاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول عليه السلام في جواز رؤية الله
تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له والمعتزلي يكفر الاشعري
زاعما ان اثبات الصفات تكثير للقدماء وتكذيب للرسول عليه السلام
في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب
والتصديق وحقيقتهما فيه وينكشف لك غلو هذه الفرق واسرافها
في تكفير بعضها بعضا فاقول التصديق انما يتطرق الى الخبر
وحقيقة الاعتراف بوجود ما اخبر به الرسول عليه السلام عن وجوده
الا ان للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة
مخالفيها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي
وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من
هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه
الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها في التاويلات اما الوجود

الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس
والعقل عنه صورة فيسمى اخذه ادراكا وهذا كوجود السماء والارض
والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذي لا يعرف
الاكثرون للوجود معنى سواه واما الوجود الحسي فهو ما يتمثل
في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا
في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهد النايم فيه صح
بل كما يشاهد المريض المتيقظ اذ قد يتمثل له صورة ولا وجود لها خارج
حسه حتى انه يشاهدها كما يشاهد ساير الموجودات الخارجة عن حسه
بل قد يتمثل للانبياء والاوليا في اليقظة والصحة صور جميلة محاكية
لجواهر الملايكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون فيتلقون صح
من امر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء
باطنهم كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما انه عليه السلام راى
جبريل كثيرا ولكن ما راه في صورته الا مرتين وكان يراه في صورة
مختلفة بل يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال في المنام صح
من راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي ولا يكون رويته بمعنى
انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النايم بل هو على سبيل وجود
صورته في حس النايم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في

بعض

بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تاخذ قبسا
من نار كانه نقطة وتحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا
من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دايرة من نار والداير والخط
مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لان
الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما يصير خطا في اوقات
متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في
مشاهدتك في حالة واحدة واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه
المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر ان تخترع من خيالك
صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كانك تشاهد
وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج واما الوجود
فيتلقى صح العقلي فهو ان يكون للشي روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد
معناه دون ان يثبت صورته في خيال او حس او خارج كاليد مثلا
فان لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهو القدرة
على البطش فالقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن
حقيقته ما ينقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون
مقرونا بصورة خشب وقصب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية
واما الوجود الشبهي فهو ان لا يكون نفس الشي موجودا لا بصورته

ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن
يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته
وتستفهم هذا اذا ذكرت لك مثاله في التاويلات فهذه مراتب
وجود الاشياء **فصل** اسمع الان امثلة هذه الدرجات
في التاويلات **اما** الوجود الذاتي فلا يحتاج الي مثال وهو الذي
يجري علي الظاهر ولا يتاول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع
فانه يجري على ظاهره اذ هذه اجسام موجوده بنفسها ادركت — في انفسها؛ — مجرى؛
بالحس والخيال او لم تدرك **واما** الوجود الحسي فامثلته في
التاويلات كثيرة واقنع منها بمثالين احدهما قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة
والنار فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وانقلاب
تلك العرض جسماً مستحيل غير مقدور نزل الخبر علي ان اهل القيمه
يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا
في حسهم لا في الخارج ويكون سبباً لحصول اليقين بالياس عن الموت بعد
ذلك اذ المذبوح مايوس منه ومن لم يتم عنده هذا البرهان فعساه
يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشاً في ذاته ويذبح **المثال الثاني**

فعل

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الجنة في عرض هذا الحايط
فمن قام عنده البرهان علي ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يتسع
للكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنتقل الى الحايط لكن تمثل له
الجنة وصورتها في الحايط حتى كانه يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال
شي كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك
ابصارا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين ان يرى
صورة السماء في المراة وبين ان يغمض عينيك فيدرك صورة السماء
في المرآة علي سبيل التخيل **واما** الوجود الخيالي فمثاله قوله عليه السلام
كاني انظر الي يونس بن متى عليه عباتان قطوانيتان يلبي وتجيبه
الجبال والله تعالى يقول له لبيك يا يونس والظاهر ان هذا انباء
عن تمثل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا
علي وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجودا
في الحال ولا يبعد ان يقال ايضا بمثل هذا في حسه حتى صار يشاهد
كما يشاهد النايم الصور ولكن قوله عليه السلام كاني انظر يشعر بانه
لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض الفهم بالمثال لا بعين هذه
الصورة وعلي الجملة فكلما يتمثل في محل الخيال يتصور ان يتمثل في محل
الابصار فيكون ذلك مشاهدا فكلما يتميز بالبرهان استحالة المشاهد
وقل ما

عما يتصور فيه التخيل **فصل** واما الوجود العقلي فامثلته كثيرة
فانتزع منها مثالين احدهما قوله عليه السلام آخر من يخرج من النار
يعطى من الجنة عشرة امثال الدنيا فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة
امثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي الخيالي ثم
قد يتعجب ويقال الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف
يتسع السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يسقط
المتاول هذا التعجب فيقال المراد به تفاوت معنوي عقلي لا حسي وخيالي فيقول ء
كما يقال مثلا هذا الجوهر عشرة اضعاف الفرس اي في روح المالية
ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل
المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خمر طينة
ادم بيده اربعين صباحا فقد اثبت لله يدا ومن قام عنده البرهان
على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة او متخيلة يثبت لله تعالى
يدا روحانية عقلية اعني انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها
دون صورتها اذ روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل
ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه السلام
اول ما خلق الله العقل فقال بك اعطي وبك امنع ولا يمكن ان يراد
بذلك العقل عرضا كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن ان يكون العرض

اول

اول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا
تعلم ء من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما
يسمى قلما باعتبار انه ينتقش به حقايق العلوم في الواح قلوب الاولياء
والانبياء وساير الملائكة وحيا والهاما فانه قد ورد في
حديث آخر ان اول ما خلق الله القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل
تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة
باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار
نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما
باعتبار اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالوحي والالهام
كما يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما اودع من
الاسرار وذو مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار
كمال قوته ومكينا عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا
في كونه متبوعا في حق بعض الملائكة وهذا القائل قد اثبت
قلما ويدا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من ذهب الى ان اليد
عبارة عن صفة لله تعالى اما القدرة او غيرها كما اختلف فيه
المتكلمون **فصل** واما الوجود الشبهي فمثاله الغضب
والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى

فان الغضب مثلا حقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا
لا ينفك عن نقصان والم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت
نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا ينزله نزله
على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب
والارادة لا يناسب الغضب في حقيقته وذاته لكن في صفة من الصفات
تقارنها واثر من الاثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات
التاويلات اعلم ان كل من نزل قولا من اقوال الشرع على درجة
من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه
المعاني ويزعم ان ما قاله لا معنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله
التلبيس ومصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة ولا
يلزم كفر المتاولين ما داموا يلازمون قانون التاويل كما سنشير
اليه وكيف الكفر وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه يلزم صح
فابعد الناس عن التاويل احمد بن حنبل رحمة الله عليه وابعد التاويلات
عن الحقيقة واقربها ان يجعل الكلام مجازا واستعارة هو الوجود العقلي على
والوجود الشبهي والحنبلي مضطر اليه وقايل به فقد سمعت الثقات من
ائمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل صرح بتاويل ثلثة احاديث
فقط قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في الارض والثاني قوله عليه السلام احدها صح

قلب

قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والثالث قوله عليه السلام
اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن فانظر الآن كيف تاول هذا حيث
قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فقال اليمين تقبل في العادة تقربا
الى صاحبها والحجر الاسود يقبل تقربا الى الله فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا
في صفة ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي يمينا وهذا هو الوجود
الذي سميناه الشبهي وهذا ابعد وجوه التاويل فانظر كيف اضطر اليه
ابعد الناس عن التاويل وكذلك استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى
حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد لله تعالى اصبعين فتاوله على
روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية اعني ان روح
الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشيا وقلب المؤمن بين لمة الملك ولمة الشيطان
وبهما يقلب الله القلوب فكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد رحمه الله على
تاويل هذه الاحاديث الثلثة لانه لم يظهر عنده الاستحالة الا في هذا
القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن لظهر له ذلك في الاختصاص لم يمعن
بجهة فوق وغيره مما لم يتاوله والاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما
تجاوزا الى تاويل ظواهر كثيرة واقرب الناس الى الحنابلة في امور الاخرة
الاشعرية فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير والمعتزلة اشد منهم توغلا
في التاويلات ومع هذا فيضطرون الى تاويل امور على الاشعرية كما ذكرناه

من قوله عليه السلام يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح وكما ورد
من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري اوّل الاعمال فقال يوزن صحائف الاعمال
ويخلق فيها اوزان بقدر درجات الاعمال وهذا ردّ الي الوجود الشبهي البعيد
وان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدلّ بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس
الموزون اذًا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل والمعتزلي أَوَّلَ نفس العمل صح
الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد عن مقدار عمله
وهو ابعد عن التعسف في التاويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح احد التاويلين
بل ان يعلم ان كل فريق وان بلغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الي التاويل الا ان يجب صح
يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا والموت
وان كان عرضا فيستحيل كبشا بطريق الانقلاب والاعمال اعراضا وقد عدمت وان كانت صح
فينتقل الي الميزان ويكون فيها اعراض وهي لا تنتقل ومن ينتهي الي هذا الحد من
الجهل فقد انخلع من غريزة العقل **فصل** اسمع الآن قانون التاويل
نقد علمت الفرق على هذه الدرجات الخمس في التاويل وان شيئا منه ذلك ليس اتفاق خ
من حيّز التكذيب واتفقوا على ان جواز ذلك موقوف علي قيام البرهان
على استحالة الظاهر والظاهر الاول الوجود الذاتي وانه اذا ثبت
تضمن الجميع فان تعذر فالوجود الحسي وانه ان ثبت تضمنها بعده فان
تعذر فالوجود الخيالي والعقلي وان تعذر فالوجود الشبهي المجازي

ولا رخص

ولا رخصة في العدول عن درجة الي ما دونها الا بضرورة البرهان
فيرجع الاختلاف على التحقيق الي البرهان اذ يقول الحنبلي لا برهان
على استحالة اختصاص الباري بالجهة جهة فوق ويقول الاشعري لا
برهان على استحالة الرؤية وكان كل واحد لا يرتضي ما ذكره الخصم
ولا يراه دليلا قاطعا وكيف ما كان لا ينبغي ان يكفّر كل فريق خصمه بل يراه كونه غالطا خ
بان يكون غالطا في البرهان نعم يجوز ان يسميه ضالا او مبتدعا اما
ضالا فمن حيث انه ضلّ عن الطريق عنده واما مبتدعا فمن حيث انه
ابتدع قولا لم يعهد من السلف الصالح التصريح به اذ المشهور فيما
بين السلف ان الله تعالى يرى فقول القائل لا يرى بدعة وتصريح
بتاويل الرؤية بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة
القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكروه
عند صح لكن هذا يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف
ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا
ولا داخله ولا خارجا وان الجهات ليست خارجة عنه وان نسبة خالية خ
جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت فهذا قول مبتدع اذ البدعة عبارة
عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف وعند هذا يتضح لك ان
ها هنا مقامين احدهما مقام عوام الخلق والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير

الظواهر راسًا والحذر عن انواع التصريح بتاويل لم يصرح به الصحابة
وحسم باب السوال راسا والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع
ما يتشابه من الكتاب والسنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه سال له
سايل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روي عن مالك رحمه الله
انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية
مجهولة والسوال عنه بدعة المقام الثاني بين النظار الذين اضطربت
عقايدهم المشهورة الماثورة فينبغي ان يكون لحثهم بقدر الضرورة
وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ولا ينبغي ان يكفر
بعضهم بعضا بل يراه غالطا فيما يعتقده برهانا فان ذلك ليس امرًا
هينًا سهل المدرك وليكن البرهان بينهم قانونًا متفقا عليه يعترف
كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد
ذكرنا الموازين الخمس في كتاب القسطاس المستقيم وهي التي لا يتصور
الخلاف فيها اصلا من بعد فهمها بل يعترف كل من فهمها بانها مدارك
اليقين قطعا والمخلصون لها يسهل عليهم عند الانصاف والانتصاف كشف الغطاء
ورفع الاختلاف ولكن لا يستحيل منهم الاختلاف ايضا اما لقصور بعضهم
عن ادراك تمام شروطه واما لرجوعهم في النظر الى محض القريحة دون
الوزن بميزان كالذي يرجع بعد تمام العروض في الشعر الى الذوق

لاستثقاله

لاستثقاله عرض كل شعر على العروض ولا يبعد ان يغلط

فصل

واما اختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم
التي هي اصول البراهين تجربية وتواترية وغيرهما والناس يختلفون
في التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره وقد
يتولى من تجربته ما لا يتولاه غيره واما لالتباس قضايا الوهم بقضايا
العقل واما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات
كما فصلناه في كتاب محك النظر ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين
وحققوها امكنهم الوقوف عند قرك العباد على مواقع الغلط

فصل من الناس من يبادر الى التاويل بغلبات الظنون
من غير برهان قاطع فلا ينبغي ايضا ان يبادر الى تكفيره في كل
مقام بل ينظر فان كان تاويله في امر لا يتعلق باصول العقايد ومهماتها
فلا يكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل
الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر
نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات متفاوتة
بالكمال نسبة ما بينها في التفاوت نسبة الكواكب والقمر والشمس ويستدل
عليه بان الخليل اجل قدرًا من ان يعتقد في جسم انه اله حتى يحتاج
الى ان يشاهد افوله افترى انه لو لم يافل لكان يتخذه الهًا ولم

يعرف استحالة الهيئة من كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن
ان يكون اول ما راه الكوكب والشمس هي الاظهر وهي اول ما
ترى واستدل بانه الله تعالى قال اولا وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض ثم حكى هذا القول وكيف يمكن ان يتوهم بعد كشف ذلك صح
الملكوت له وهذه دلالة ظنية ليست ببراهين اما قوله هو لعل
من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا يبعد ان يخطر
لمن كان نبيا في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه على قرب ولا
يبعد ان تكون دلالة الافول على الحدوث عنده اظهر من دلالة
التقدر والجسمية واما رؤية الكوكب اولا فقد روي انه كان
محبوسا في صباه في غار وانما خرج بالليل واما قوله تعالى اولا
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض يجوز ان يكون
قد ذكر الله تعالى حال نهايته ثم رجع الي ذكر بدايته فهذه وامثالها ظنون
يظنها براهين من لا يعرف حقيقة البرهان وشرطه فهذا جنس
تاويلهم وقد تاولوا العصى والنعلين في قوله اخلع نعليك وقوله
والق ما في يمينك ولعل الظن في هذه الامور التي لا تتعلق باصول
الاعتقاد تجري مجرى البرهان في اصول الاعتقاد فلا يكفر فيه
ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب والتصريح به يؤدى الى تشويش
اذا صح
تشوش صح

قلوب

12

قلوب العوام فيبتدع به صاحبه في كلها يؤثر من السلف ذكره
ويقرب منه قول بعض الباطنيه ان عجل السامري هو اله اذ كيف يخلو
خلق كثير عن عاقل يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون الها وهذا
ايضا ظن اذ لا يستحيل ان تنتهي طايفة من الناس اليه كعبدة الاصنام جمل صح
وكونه نادرا لا يورث يقينا واما ما يتعلق من هذا الجنس
باصول العقايد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان ان يكفر من يغير الظاهر صح
قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسيات الحسية صح
في الاخرة بظنون واوهام واستبعاد بغير برهان قاطع فيجب تكفيره
قطعا اذ لا برهان على استحالة رد الارواح الي الاجساد وذكر
ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير من قال منهم ان الله تعالي
لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا الكليات فاما الامور الجزئية المتعلقة
بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول عليه السلام
قطعا وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التاويل اذ
ادلة القرآن والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتعلق علم الله تعالي وتفهيم صح
بتفصيل كل ما يجري علي الاشخاص مجاوز حدا يقبل التاويل وهم معترفون
بان هذا ليس من التاويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا
حشر الاجساد لقصور عقلهم عن فهم المعاد العقلي كان صلاحهم في ان

يعتقد ان الله تعالى عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث
ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول عليه السلام ان يفهمهم
ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن
كما قاله وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذر
في انه لم يكذب وجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق
واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذا اول درجات
الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال والزندقة المطلقة وان المعتزلة
تقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو
ان المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا القدر .. العذر ع
بل يأول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا يقتصر مجاوزته
للظواهر على ما يقبل التاويل على قرب او على بعد واما الزندقة المطلقة
فهو ان ينكر اصول المعاد عقليا وحسيا وينكر صانع العالم اصلا
وراسا واما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الالام واللذات الحسية
الجسمية واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهي زندقة مقيدة
بنوع اعتراف بصدق الانبياء بظاهر ظني والعلم عند الله تعالى ان هؤلاء عليهم السلام صح
المرادون بقوله عليه السلام ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة
كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات

وظاهر

وظاهر هذا الحديث يدل على انه اراد به الزنادقة من امته اذ قال
ستفترق امتي ومن لا يعترف بنبوته فليس من امته والذين ينكرون لم ع
اصل المعاد واصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت
عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن
نسبتهم الى الامة فاذن لا معنى لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه

فصل اعلم ان شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعي
تفصيلا طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل
واحد ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تاويله وذلك لا تحويه
مجلدات وليس يتسع لشرح ذلك اوقاتي فاقنع الان بوصية وقانون فاتبع ع
اما الوصية فان تكف لسانك عن اهل القبلة ما امكنك ما داموا قائلين
لا اله الا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها والمناقضة تجويزهم
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر او بغير عذر
فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه واما القانون
فهو ان تعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقايد وقسم
يتعلق بالفروع واصول الايمان ثلثة الايمان بالله وبرسوله واليوم
الاخر وما عداه فرع واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا
فروع صح

كما في بعضها تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطا المتعلق بالامامة
واحوال الصحابة واعلم ان الخطا في اصل الامامة وتعيينها وشروطها
وما يتعلق بها لا يوجب شي منه تكفيرا فقد انكر ابن كيسان اصل
وجوب الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت الى قوم يعظمون
امر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان بالله ورسوله
ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة فكل ذلك اسراف
اذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول اصلا ومهما وجد التكذيب
وجب التكفير وان كان في الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي
بمكة ليس هو الكعبة التي امر الله بحجها فهذا كفر اذ ثبت تواترا
عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه ولو انكر شهادة الرسول عليه السلام
لذلك البيت انه الكعبة لم ينفعه انكاره بل نعلم قطعا انه معاند في انكاره
الا ان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك فكذلك
من نسب عايشة رضي الله عنها الى الفاحشة وقد انزل الله تعالى براءتها في القران
فهو كافر لان هذا وامثاله لا يمكن الا بتكذيب او انكار متواتر
والمتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه ان يجهله بقلبه نعم
لو انكر ما ثبت باخبار الاحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما يثبت
بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض

المحصلون

يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا
فكان كون الاجماع حجة مختلفا فيه فهذا حكم الفروع واما الاصول الثلثة
فكلما لم يحتمل التاويل في نفسه وتواتر نقله ولم يتصور ان يقوم برهان
على خلافه فمخالفته تكذيب محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد
واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال التاويل
ولو بالمجاز البعيد فينظر فيه الى البرهان فان كان قاطعا وجب القول به فيه
لكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة
وان لم يكن البرهان قطعيا لكن يفيد ظنا غالبا وكان مع ذلك لا يعلم
ضرره في الدين كنفي المعتزلي الرؤية عن الباري تعالى فهذه بدعة وليس
بكفر واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل ان يكفر ويحتمل
ان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي التصوف
انه قد بلغ حالة بينه وبين الله اسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر الى حيث صح
والمعاصي صح والمسكر واكل مال السلطان فهذا مما لا اشك في وجوب قتله وان
كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من قتل مائة
كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد وضرر
هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمتنع عن الاصغا اليه
لظهور كفره اما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا

تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليف لمن ليس له مثل درجته في الدين
وربما يزعم انه يلابس الدنيا ويقارف المعاصي بظاهره وهو بباطنه بريء (في الهامش: ويقارف ٤)
عنها ويتداعى الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الشرع ولا
ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك قطعا في كل مقام
بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود
في النار فمأخذه كمأخذ ساير الاحكام الشرعية وتارة يدرك باليقين
وتارةً يدرك بظن غالب وتارةً يتردد فيه ومهما حصل تردد فالتوقف
في التكفير اولى والمبادرة للتكفير انما يغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل
ولا بد من التنبيه لقاعدة اخرى وهو ان المخالف قد يخالف نصا متواترا
ويزعم انه مؤول ولكن تاويله لا انقداح له اصلا في اللسان لا على قرب
ولا على بعد وذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول
ومثاله ما رايته في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه
يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم ويخلقه لغيره وموجود
بمعنى انه يوجد غيره فاما ان يكون في نفسه واحدا او موجودا او (في الهامش: الواحد ٤)
عالما على معنى اتصافه فلا وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة
ليس من التاويل في شيء ولا تحتمله لغات العرب اصلا ولو كان خالق
الوحدة واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلثا واربعا لانه خلق الاعداد (في الهامش: يسمى صح)

ايضا

ايضا وامثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتاويلات
فصل قد فهمت من هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بامور
احدها ان النص الشرعي الذي عدل عن ظاهره يحتمل التاويل
ام لا وان احتمل التاويل فهو قريب ام بعيد ومعرفة ما يقبل التاويل
وما لا يقبل ليس بالهين بل لا يشتغل به الا الماهر الحاذق في علم اللغة (في الهامش: بل لا يستقل به ٤)
العارف باصل اللغة ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجوزها
ومنهاجها في ضروب الامثال **الثاني** في النص المتروك انه ثبت تواترا
او آحادا او ثبت بالاجماع المجرد فان ثبت تواترا فهو على شرط التواتر
ام لا اذ ربما يظن المستفيض تواترا وحد التواتر ما لا يمكن الشك
فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلدان المشهورة وغيرها وانه
متواتر في الاعصار كلها عصرا بعد عصر الى زمان النبوة ام يتصور
ان يكون قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر
ان لا يحتمل ذلك كما في القرآن اما في غير القرآن فيغمض مدرك
ذلك جدا ولا يشتغل بادراكه الا الباحثون عن كتب التواريخ
واحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث واحوال الرجال واغراضهم
في نقل المقالات اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به (في الهامش: العلم)
اذ كان يتصور ان يكون للجمع الكثير رابطة في التواقف لا سيما بعد وقوع

التعصب بين ارباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص
على علي في الامامة لتواتره عندهم وتواتر عند خصمهم في اشياء كثيرة خلاف خصومهم
ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض على فاصنة احاديثهم في اشاعتها اكاذيبهم
واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان
يجتمع اهل الحل والعقد في صعيد واحد فيتفقون على امر واحد اتفاقا
بلفظ صريح ثم يستمرون عليه مدة عند قوم على تمام انقراض العصر عند قوم او
يكاتبهم امام في اقاليم الارض فيأخذ فتاواهم في زمان واحد بحيث في اقطار
تتفق اقوالهم اتفاقا صريحا حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعد ثم النظر
في ان من خالف بعد هل يكفر لان من الناس من قال اذا جاز في ذلك
الوقت ان يختلفوا فيحمل توافقهم على الاتفاق ولا يمتنع على كل واحد منهم
ان يرجع بعد ذلك وهذا ايضا غامض الثالث النظر في ان صاحب المقالة
هل تواتر عنده الخبر ام هل بلغه الاجماع اذ كل من يولد لا يكون الامور
عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف
انما يدرك ذلك شيئا فشيئا وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة
في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف او
تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله
كتابا في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل

فاذن

فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل وليس بمكذب
ولا يمكن تكفيره والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس
بيسير الرابع النظر في دليله الباعث له على مخالفته الظاهر
اهو على شروط البرهان ام لا ومعرفة شروط البرهان لا يمكن شرحها
الا في مجلدات وما ذكرناه في كتاب المستظهري وفي كتاب محك النظر
انموذج منه وتكل قريحة اكثر فقهاء الزمان عن فهم شروط البرهان
على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعا
رخص في التأويل وان كان بعيدا فاذا لم يكن قاطعا لم يرخص الا في
تأويل قريب سابق الى الفهم الخامس في ان تلك المقالات هل يعظم ضررها في ان ذكر تلك المقالة
في الدين ام لا فان من لا يعظم ضرره فالامر فيه اسهل وان كان القول
شنيعا وظاهر البطلان كقول المنتظرة ان الامام مختف
في سرداب وانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان
شنيع جدا ولكن لا ضرر فيه على الدين اذ الضرر على الاحمق المعتقد
لذلك اذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع
الى بيته خايبا وهذا مثال والمقصود انه لا ينبغي ان يكفر
بكل هذيان وان كان ظاهر البطلان فاذا فهمت ان النظر في التكفير
موقوف على هذه المقامات التي لا يستقل بها الا الاحاد المبرزين علمت

جميع

علمت ان المبادر الى تكفير من يخالف الاشعري او غيره جاهل مجازف
وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفي اي ربع من ارباع
الفقه يصادف هذه العلوم فاذا رايت الفقيه الذي بضاعته
مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به
قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه
الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من لا يدري لقل
الخلاف بين الخلق **فصل** من اشد الناس غلوا واسرافا طايفة
من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لا يعرف الكلام
بادلتنا معرفتنا او لم يعرف العقايد الشرعية بادلتها التي حررناها فهو كافر بها
فهولاء ضيقوا رحمة الله تعالى الواسعة على عباده اولا وجعلوا الجنة
وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة
ثانيا اذ ظهر من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة حكمهم
باسلام طوايف من اجلاف العرب كانوا مشتغلين بعبادة الوثن
الادلة ولم يشتغلوا بتعليم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموها ومن ظن ان مدرك
الايمان الكلام والادلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد ابعد لا
بل الايمان نور يقذفه الله تعالى في قلب عبيده عطية وهدية من
عنده تارة بتنبيه من الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رويا
في المنام

في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته
ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
جاحدا له منكرا فلما وقع بصره على طلعته البهية فراها تتلالا منها
انوار النبوة قال والله ما هذا بوجه كذاب وسال ان يعرض عليه الاسلام
وجاء اخر عليه السلام فقال انشدك الله آلله بعثك فقال اي والله بنيا صح
الله بعثني نبيا فصدقه بيمينه واسلم وهذا وامثاله مما لا يحصى ولا
يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الادلة بل كان يبدو نور النبوة اولا الايمان
بمثل هذه القراين في قلبهم لمعة بيضا ثم لا يزال يزداد اشراقا بمشاهدة
تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القران وتصفية القلوب فليت
شعري متى نقل عن الرسول عليه السلام وعن اصحابه احضار اعرابي
اسلم وقولهم له الدليل على ان العالم حادث انه لا يخلو عن الاعراض
وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة
زايد على الذات لا هي هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين
ولست اقول لم تجر هذه الالفاظ بل لم تجر ايضا ما معناه معنى هذه الالفاظ
بل كانت لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال
السيوف وجماعة من الاساري يسلمون واحدا واحدا بعد طول الزمان
او على القرب فكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلوة والزكوة

وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها ثم لست انكر ان
يكون ذكر ادلة المتكلمين احد اسباب الايمان في حق بعض الناس
ولكن ليس ذلك بمقصور عليه وهو ايضا نادر بل انفع الكلام
الجاري في معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن فاما الكلام المحرر
على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستفهمين بان فيه صنعة جدل المستمعين ع
يعجز عنه العامي لا لكونه حقا في نفسه وربما يكون ذلك سببا لمن رسخ لرسوخ
العناد في قلبه ولذلك لا يرى مجلس مناظرة المتكلمين والفقهاء انكشف
عن واحد انتقل من الاعتزال الى غيره ولا عن مذهب الشافعي الى
مذهب ابي حنيفة ولا على العكس وتجري هذه الانتقالات باسباب
اخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة في هذه
المجادلات بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ويشتغل بالبحث شددوا ع
والسؤال واذا تركنا المداهنة ومراقبة الجوانب صرحنا القول
بان الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة الا لاحد شخصين رجل وقعت
له شبهة ليست تزول بكلام قريب وعظي ولا بخبر نقلي عن قلبه عن قلبه نقلي
فيجوز ان يكون القول المرتب الكلامي رافعا شبهة تتخلل له في مرضه ودواء ص
فليستعمل معه ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك سمع ع
ان يحرك في نفسه اشكالا ويثير له شبهة ومرضه ويزله عن اعتقاده المجزوم

الصحيح والثاني شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان
بانوار اليقين يريد ان يحصل هذه الصنعة ليداوي بها مريضا اذا
وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعا اذا نبغ له وليحرس به معتقده
اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك لهذا الغرض فرض من فروض الكفايات
وتعلم قدر ما يزيل الشك والشبهة فرض عين اذا لم يمكن اعادة اعتقاده في حق الكلام
المجزوم بطريق آخر سواه والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول
واشتمل عليه القرآن اعتقادا جزما فهو مؤمن به وان لم يعرف ادلته
بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدا مشرف على التزلزل
بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبى بتواتر
السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن احوال لا يمكن التعبير عنها وتمام
تأكده بملازمة العبادة والذكر فان من تادت به العبادة الى حقيقة
التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى
دائما تجلت له انوار المعرفة وصارت الامور التي قد كان اخذها
تقليدا عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي لا تحصل
الا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشراح الصدر بنور الله فمن
يُرِدِ اللهُ اَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ
كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شرح الصدر فقال نور

يقذف في القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والإنابة
الي دار الخلود فبهذا يُعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك
حقيقة المعرفة ولو ادركها لتجافي عن دار الغرور قطعًا **فصل**
لعلك تقول انك تاخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية
والشارع صلوات الله عليه وسلامه هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون
المتكلم اذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لادم يوم القيمة يا آدم ابعث
من ذريتك بعث النار فيقول يا رب من كم كم فيقول من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين وقال عليه السلام ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة **الجواب** ان الحديث الاول صحيح لكن ليس المعني به انهم كفار
مخلدون بل انهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر
معاصيهم والمعصوم من المعاصي لا يكون في الالف الا واحدا ولذلك قال الله
تعالى وَاِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا ثم بعث النار عبارة عمن استوجب
النار بذنوبهم ويجوز ان يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار بذنوبه صح
وتشهد الاخبار الكثيرة على سعة الرحمة وهي اكثر من ان تحصى فمنها ما روي
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فاتبعته فاذا هو في مشربة يصلي فرايت على راسه انوارا ثلثة فلما قضى
صلوته قال من هذه قلت انا عائشة يا رسول الله قال رايت الانوار

الثلثة

الثلثة قلت نعم يا رسول الله قال ان آتيا اتاني من ربي فبشرني ان الله
يدخل الجنة من امتي سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور
الثاني آت من ربي فبشرني ان الله يدخل الجنة من امتي مكان كل واحد
من السبعين الفا سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور
الثالث آت من ربي ان الله يدخل الجنة من امتي مكان السبعين الفا
المضاعفة سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رسول الله
لا تبلغ امتك هذا فقال يكمل لكم من الاعراب من لا يصوم ولا يصلي فهذا
وامثاله من الاخبار الدالة على سعة الرحمة كثير فهذا في امة محمد عليه السلام
خاصة وانا اقول الرحمة تشمل كثيرا من الامم السالفة وان اكثرهم
يعرضون على النار اما عرضة خفيفة حتى في لحظة او ساعة واما في مدة عرضة صح
حتى ينطلق عليهم اسم بعث النار بل اقول اكثر نصارى الروم والترك
في هذا الزمان تشملهم الرحمة ان شاء الله اعني الذين هم في اقاصي الترك
والروم لم يبلغهم اسم النبي صلى الله عليه وسلم فانهم ثلثة اصناف صنف الدعوة
لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم اصلا فهم معذورون وصنف بلغهم
اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام
والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون وصنف ثالث بين الدرجتين
بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا منذ الصبى

ان كذابًا ملبسًا اسمه اسم محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابًا
يقال له المقنع تحدى بالنبوة كاذبًا فهذا عندي في معنى الصنف الاول
فانهم مع انهم سمعوا اسمه سمعوا ضد اوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر
في الطلب واما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة [illegible] فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكة منها واحدة صح
تلك الرواية ومعنى الناجية هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج الى الشفاعة
بل الذي تتعلق به الزبانية فتجره الى النار صح فليس بناج على الاطلاق وان انتزع بالشفاعة
عن مخالبهم (جمع مخلب) عن مجالسهم ع وفي رواية كلها في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة ويمكن ان يكون
الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكة واحدة وهي التي تخلد في النار فتكون
الهالك عبارة عن من وقع الياس عن خلاصه لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك
خير ويكون الناجية واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة
لان من نوقش في الحساب عذب فليس بناج اذن ومن افتقر الى الشفاعة عرض للشفاعة ع
فقد عرض للمذلة فليس بناج ايضا على الاطلاق وهذان طرفان وهما
عبارتان عن شر الخلق وخيره وباقي الفرق بين هاتين الدرجتين فمنهم
من يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب الى النار ثم يصرف الى الشفاعة بالشفاعة
ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقايدهم وبدعهم وعلى
حسب كثرة معاصيهم وقلتها فاما الهالكة المخلدة في النار من هذه
الامة فهي فرقة واحدة وهي التي كذبت وجوزت الكذب على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالمصلحة واما من سائر الامم فمن كذبه بعدما
قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزاته الخارقة للعادة كشق
القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين اصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به
اهل الفصاحة فعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فاعرض وتولى ولم ينظر
فيه ولم يتأمل او لم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكذب وهو الكافر
ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم من بلاد الاسلام
بل اقول من قرع سمعه هذا فلا بد من ان تنبعث منه داعية الطلب لتبين
حقيقة الامر ان كان من اهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه
عن الخوف وخطر امر الدين وذلك كفر وان انبعثت الداعية
فقصر في الطلب ايضا فهو كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر
من اهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل والاسباب
الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت
قبل تمام التحقيق فهو ايضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله
ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية واعلم ان الآخرة
قريبة من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
وكما ان اكثر اهل الدنيا في نعمة او سلامة او في حالة تغبطها اذ لو خير بينها

وبين الإماتة والإعدام مثلا لاختارها وانما المعذب الذي يتمنى الموت نادر
فكذلك المخلدون في النار بالإضافة الى الناجين المخرجين منها في الآخرة
نادر فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف احوالك وانما الدنيا والآخرة
عبارة عن اختلاف احوالك ولاجل هذا لما كان لقوله عليه السلام معنى ولولا صح
حيث قال اول ما خط في الكتاب الاول انا الله لا اله الا انا سبقت ما خط الله خ
رحمتي غضبي فمن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فله الجنة
واعلم ان اهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها باسباب
ومكاشفات سوى ما سمعوا من الاخبار والآثار ولكن ذكر ذلك
يطول فابشر برحمة الله تعالى وبالنجاة المطلقة اذا جمعت بين الايمان
ان خ
والعمل الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعا وان كنت صاحب
يقين في اصل التصديق وصاحب خطأ في بعض التأويلات او صاحب شك
فيها او صاحب خطأ في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة واعلم انك خلط خ
بين ان تعذب مدة ثم تخلى وبين ان يشفع فيك من تيقنت صدقه في
جميع ما جاء به او غيره فاجتهد ان يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء يغنيك الله خ
فان الامر في ذلك خطر **فصل** قد ظن بعض الناس ان مأخذ
التكفير من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف
به مؤمن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود في النار حكم شرعي لا معنى له

قبل

قبل ورود الشرع وان اراد به ان المفهوم من الشارع ان الجاهل
بالله هو الكافر فهذا لا يمتنع حصره فيه لان الجاهل بالرسول لا يمكن خ
وباليوم الآخر ايضا هو كافر ثم لو خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى
ان خ
بجحد وجوده او وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سومح عليه وان
جعل المخطئ في الصفات ايضا جاهلا او كافرا لزمه تكفير من نفى صفة
البقاء وصفات القدم ومن نفى الكلام وصفا زائدا ابدا على العلم ومن
نفى السمع والبصر زائدا على العلم ومن نفى جواز الرؤية ومن اثبت
الجهة واثبت ارادة حادثة لا في ذاته ولا في محل او يكفر المخالفين فيه
بالجملة يلزم التكفير في كل مسئلة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك
تحكم لا مستند له وان خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد
لذلك فصلا ومردا فلا وجه الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب
بالرسول وبالمعاد ويخرج منه المؤول ثم لا يبعد ان يقع الشك والنظر
في بعض المسائل من جملة التأويل او التكذيب حتى يكون التأويل بعيدا
ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت ان هذه مسئلة
اجتهادية **فصل** من الناس من قال انما اكفر من يكفرني من الفرق
ومن لا يكفرني فلا وهذا لا مأخذ له فان قول القائل علي رضي الله عنه تام
اولى بالامامة اذا لم يكن كفرا فبان يخطئ صاحبه ويظن المخالف فيه كافرا

لا يصير كافرا وانما هو مخطئ في مسئلة شرعية وكذلك الحنبلي اذا لم يكفر
باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط ويظن ان نافي الجهة مكذب وليس
بمتأول واما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قذف احد المسلمين صاحبه
بالكفر فقد باء به احدهما معناه ان يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف
من غيره انه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفره فيكون المكفر
كافرا فاما ان كفره بظنه انه مكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا غلط منه في حال شخص واحد اذ يظن به انه كافر ومكذب
وليس كذلك وهذا لا يكون كفرا فقد نبهناك بهذه الترددات
التنبيه على عظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي ينبغي
ان يتبع فيها فاقنع به والسلام

والحمد لله وحده وصلواته على رسوله سيدنا محمد النبي

وعلى اله وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل



الكتاب المضنون به على غير اهله وهو الموسوم بالاجوبة
الغزالية في المسايل الاخراويه صنعه الامام العالم
الزاهد شرف الدين تاج الفرق ابي حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي الطوسي رحمه الله عليه



بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلوته على محمد النبي صلى الله عليه وسلم

سئل الشيخ الامام ابو حامد رحمه الله عن قوله تعالى فاذا سويته الآيه ما التسوية وما النفخ وما الروح فقال التسوية فعل في المحل القابل للروح وهو الطين في حق آدم والنطفة في حق اولاده بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر ولا رطب محض كالماء بل يتعلق النار بمركب ولا كل مركب فان الطين مركب ولا يشتعل فيه النار بل لا بد من تركيب خاص وذلك بان يتردد الطين الكثيف في اطوار الخلقة حتى يصير نباتا لطيفا فتتشبث به النار وكذلك الطين بعد ان ينشيه الله خلقا بعد خلق في اطوار متعاقبة فيصير نباتا ثم ياكله الآدمي فيصير دما فيسرع القوة المميزة المركبة في كل حيوان فياخذ صفوة الذي هو اقرب الي الاعتدال فيصير نطفة فيقبله الرحم ويمتزج به مني المراة فيزداد عند ذلك اعتدالا ثم ينضجه الرحم بحرارتها فيزداد بها حتى ينتهي في الصفا واستواء به الاجزا الى الغاية التي يستعد بها لقبول الروح واماكها كالفتيلة التي يستعد عند شرب الدهن لقبول النار واماكها والنطفة عند تمام الاستواء والصفا يستحق استعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها فيفيض اليها الروح من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير بخل ولا منع فالتسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لاصل النطفة في الاطوار السالكة بها الى صفة الاستواء والاعتدال

فصل

فاما النفخ فانه عبارة عما اشتعل نار الروح في فتيلة النطفة والنفخ صورة ونتيجة اما صورته فاخراج الهواء من جوف النافخ في جوف المنفوخ حتى يشتعل الحطب القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ الذي هو سبب

لكن ما سمعوه من الظواهر المخالفة للمعقول جحدوه وانكروه وكذبوا راويه الا ما يتواتر عندهم كالقران او قرب تاويله من الفاظ الحديث وما سبق عليهم تاويله جحدوه من الابعاد في التاويل فراوا التوقف عن القبول اولى من الابعاد في التاويل ولا يخفى ما في هذا الراي من الخطر في رد الاحاديث الصحيحة المنقولة عن الثقات الذين بهم انتقل الشرع الينا الفرقة الرابعة جعلوا المنقول اصلا وطال بممارستهم له فاجتمع عندهم الظواهر الكثيرة وتطرفوا من المعقول ولم يغوصوا فيه فظهر لهم التصادم بين المعقول والظواهر في بعض اطراف المعقولات ولكن لما لم يكثر خوضهم في المعقول ولم يغوصوا فيه لم يتبين عندهم المحالات العقلية لان المحالات بعضها يدرك استحالته بدقيق النظر وطويله الذي يبتني على مقدمات كثيرة متوالية ثم انضاف اليه امر اخر وهو ان كل ما لم يعلم استحالته حكموا بامكانه ولم يعلموا ان الاقسام ثلثة قسم علم استحالته بالدليل وقسم علم امكانه بالدليل وقسم لم يعلم استحالته ولا امكانه وهذا القسم الثالث جرت عادتهم بالحكم بامكانه اذ لم يظهر لهم استحالته وذلك خطا لمن يحكم باستحالته اذ لم يظهر له امكانه بل من الاقسام ما لا يعلم امكانه ولا استحالته اما لانه موقف العقل وليس في القوة البشرية الاحاطة به واما لقصور هذا الناظر خاصة وعدم عثوره على دليله بنفسه وفقده لمن ينبهه عليه ومثال الاول من حس البصر قصور الحس البصري عن ان يعرف عدد الكواكب انه زوج او فرد وعن ان يدرك عظم الكواكب مع بعدها على ما هي عليها ومثال الثاني وهو القصور الخاص قصور حس بعض الناس عن ان يدرك منازل القمر وظهور اربع عشرة منها في كل حال وخفاء اربع عشرة تعاقب دون المنازل في الغروب والشروق وغير ذلك مما وقع عليه بعض الناس بحس البصر دون بعض فلذلك يتطرق الى ادراك العقل هذا النوع من التفاوت

وهولاء لما قلّ خوضهم في المعقولات لم تكثر عندهم المحالات فكفوا مؤونة عظيمة
في اكثر التأويلات اذ لم ينتهوا للحاجة الى التأويل كالذي لم يظهر له ان كون الله
بجهة محال اذا استغنى عن تأويل الفوق والاستواء وكل ما يشير الى الجهة
الفرقة الخامسة هي الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول
الجاعلة كل واحد منهما اصلا مهما المنكرة لتناقض العقل والشرع وكونه حقا
ومن كذب العقل فقد كذب الشرع اذ بالعقل عرف صدق الشرع ولولا صدق
دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبي والصادق والكاذب فكيف
يكذب العقل بالشرع وما ثبت الشرع الا بالعقل وهولاء هم الفرقة المحقة ونهجوا
منهجا قويا الا انهم ارتقوا مرتقا صعبا وطلبوا مطلبا عظيما وسلكوا سبيلا
شاقا فلقد تشوقوا الى مطمع ما اعصاه ونهجوا مسلكا ما اوعره ولعمري وذلك
سهل يسير في بعض الامور ولكنه شاق عسير في الاكثر نعم من طالت ممارسته
للعلوم وكثر خوضه فيها يقدر على التلفيق بين المعقول والمنقول في الاكثر بتأويلات
قريبة ولا يبقى لا محالة عليه موضعان موضع يضطر فيه الى تأويلات بعيدة يكاد
تنبو الافهام عنها وموضع آخر لا يتبين له فيه وجه التأويل اصلا فيكون ذلك
مشكلا عليه من جنس الحروف المذكورة في اول السور اذ لم يصح فيها معنى
بالنقل ومن ظن انه سلم عن هذين الامرين فهو اما لقصوره في المعقول
وتباعده عن معرفة المحالات النظرية فيرى ما لا يعرف استحالته ممكنا واما
لقصوره عن مطالعة الاخبار ليجتمع له من معرفتها ما يكثر مباينتها للمعقول
فالذي اوصيه به ثلثة امور احدها ان لا يطمع في الاطلاع على جميع
ذلك والى هذا الغرض كنت اسوق الكلام فان ذلك طمع في غير مطمع وليتل
قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولا ينبغي ان يستبعد استتار بعض

بعض هذه الامور على اكابر العلماء فضلا عن المتوسطين وليعلم ان العالم ان
الذي يدعي الاطلاع على مراد النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ذلك فدعواه لقصور
علمه لا لوفوره الوصية الثانية الا يكذب برهان العقل اصلا فان
فان العقل لا يكذب ولو كذب العقل فلعله كذب في اثبات الشرع اذ به
عرفنا الشرع فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكي الكاذب والشرع
شاهد بالتفاصيل والعقل مزكي للشرع واذا لم يكن بد من تصديق العقل لم
يمكنك ان تمارى في نفي الجهة عن الله تعالى ونفي الصورة واذا قيل لك ان الاعمال
توزن علمت ان الاعمال عرض لا يوزن فلا بد من تأويل واذا سمعت ان
الموت يؤتى به في صورة كبش املح فيذبح علمت انه مأوّل اذ الموت عرض
لا يؤتى به اذ الاتيان انتقال ولا يجوز على العرض ولا يكون له صورة كبش
املح اذ الاعراض لا تنقلب اجساما ولا يذبح الموت اذ الذبح فصل الرقبة عن
البدن والموت ماله رقبة ولا بدن فانه عرض او عدم عرض عند من يرى
انه عدم الحياة فاذن لا بد من التأويل الوصية الثالثة
ان يكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات فان الحكم على مراد
الله سبحانه ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم بالظن والتخمين خطر فانما يعلم مراد المتكلم
باظهاره مراده فاذا لم يظهر فمن اين يعلم مراده الا ان ينحصر وجوه الاحتمال
ويبطل الجميع الا واحدا فيتعين الواحد بالبرهان ولكن وجوه الاحتمالات
كلام العرب وطرق التوسع فيها كثيرة فمتى ينحصر ذلك فالتوقف في التأويل اسلم
مثاله اذا بان لك ان الاعمال لا توزن وورد الحديث بوزن الاعمال
ومعك لفظ الوزن ولفظ العمل وامكن ان المجاز لفظ العمل وقد كنى به عن
صحيفة العمل التي هي محله حتى توزن صحائف الاعمال واحتمل ان يكون المجاز

هو لفظ الوزن وقد كني به عن ثمرته وهو تعريف مقدار العمل اذ هو فايدة الوزن
والوزن الكيل احد طرق التعريف فحكمك الان بان المأول لفظ العمل دون
الوزن او الوزن دون العمل من غير استناد فيه الى اجماع او نقل حكم
على الله وعلى مراده بالتخمين والتخمين والظن جهل وقد رخص فيه لضرورة العبا دات
والاعمال والتعبدات التي يدرك بالاجتهاد وما لا يرتبط به عمل وانما هو
من قبيل العلوم المجردة والاعتقادات فمن اين يتجاسر فيها على الحكم بالظن واكثر
ما قيل في التأويلات ظنون وتخمينات والعاقل فيه بين ان يحكم بالظن وبين
ان يقول اعلم ان ظاهره غير مراد اذ فيه تكذيب للعقل واما عين المراد فلا ادري
ولا حاجة لي الى ان ادري اذ لا يتعلق به عمل ولا سبيل به الى حقيقة الكشف
واليقين ولست ارى ان احكم بالتخمين وهذا اصوب واسلم عند كل عاقل واقرب
الى الامن في القيمة اذ لا يبعد ان يسال في القيمة ويطالب ويقال حكمت علينا
بالظن ولا يقال له لم لم تستنبط مرادنا الخفي الغامض الذي لم يؤمر فيه بعمل
وليس عليك فيه من الاعتقاد الا الايمان المطلق والتصديق المجمل وهو ان
يقول امنا به كل من عند ربنا فهذه المطالبة في القيمة بعيدة وان كانت فالجواب
عنها اسهل ولاجله قال امام الهجرة رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء قال الاستواء
معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وبهذه
الوصايا يستبين عذري في كراهتي للجواب عن مثل هذه الاسولة لكني مع
هذا اوثر مساعدتك في بعض ما اورده فاقول اما قوله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم اشارة الى سريان اثره
في جميع باطن الانسان كما يجري اجزاء الدم ويسري في جميع باطنه وليس
المراد ان جسمه يمازج جسم الانسان ممازجة الماء للماء وهذا اقوله عند

عند تحقيق يطول شرح مقدماته وادلتها عقلية واما كيفية مباشرته للقلوب
فليس يحتمل تسطيره والحس فاني اصادف الوساوس في قلبي وليست
الحيل شيئا ولا اشاهده بعيني عند اختلاج الوساوس وهذا الحكم مقدمات
دليله اكثرها حسية بل الوساوس من الشيطان كالالهام من الملك ونحن
نصادف في قلوبنا خواطر مختلفة اذ يدعو بعضها الى اتباع الهوى وبعضها
الى المخالفة وهذه خواطر مختلفة بدليل اختلاف مقتضياتها وهي مفتقرة الى
اسباب لانها حادثة والمختلفات اسبابها مختلفة فسمي الشرع السبب الذي
يحصل منه الالهام ملكا والذي يحصل منه الوسواس شيطانا والالهام عبارة
عن الخاطر الباعث على الخير والوسواس عبارة عن الباعث على الشر والملك
والشيطان عبارة عن سببهما وكما ان النار يستنير بها جوانب البيت
ويسود بها ايضا سقفه فيعلم ان النور يخالف السواد ويعلم ان سببه يخالف
سببه وان سبب النور هو النار وسبب السواد دخانه فبذلك يعلم ان
سبب الوسواس غير سبب الالهام نعم يبقى النظر في ان ذلك السبب عرض او جوهر
قايم بنفسه وقد ظهر انه ليس بعرض بل هو جوهر فيبقى انه حي او ليس بحي وظهر
ايضا انه حي بادلة شرعية وللعقل ايضا فيه مدخل ما فاما قول الفلاسفة
والطبيعيين انه الاخلاط فجهل محض لان تاثير الاخلاط لا تعدو مقتضى
الطبايع الاربع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخواطر
والاعتقادات والعلوم لا يجوز ان يكون من اثار الطبايع التي هي اعراض
جمادات بل هي نازلة من فوق اعني مما فوق الارضيات بالرتبة فيبقى انه
جوهر غير متحيز او هو جسم متحيز يمنع ان يوجد غيره بحيث هو لطيف كالهوى
وكثيف كجسم آخر وهذا النظر في الجن والملك والشيطان فذهب طايفة الى ان

كل ما هو قايم بنفسه جسم ووصفوا انه الخالق ايضا تعالى عن قولهم اذ لم يعقلوا الا
جسما وقالت طايفة كل قايم بنفسه جسم الا الله تعالى واحالوا ان يكون في الوجود
سواه جوهر قايم بنفسه لا يتحيز وقال قوم ان الملك والجن والشيطان كل هولاء
جواهر حية قايمة بنفسها وليست باجسام ولا متحركات وانما استعمال النزول
والانتقال والمجيء والذهاب عليها استعارة كما في حق الله تعالى بل ثار هذا الخلاف
بينهم ايضا في الجوهر العالم المدرك من الانسان فقال قوم هو جزء لا يتجزى وهو
متحيز وقال قوم هو شيء لا يتجزا ولا يتحيز فلا هو داخل البدن ولا هو خارجه ولا
هو متصل ولا هو منفصل بل لا يجوز عليه هذه الصفات ولست اذكر ما انكشف لي
فيه فان الفتوى المجملة لا يفيد كشفا بل تقليدا وليست بالتقليد اولى من غيري ولا
منفعة في التقليد في المعقولات واما كشفه ففيه طول ولو لم يطل ايضا لكان الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم في الكف عن ذكره اولى فانه لم يذكر سر الروح وهذا البحث
عنه فلا ينبغي ان يزاد عليه في الايضاح واما ما شاهده الانبياء والاولياء
من صورة الملايكة والشياطين فهي في الاكثر امثلة يحاكي معانيها ويقوم مقام
مشاهدة عين المعاني كما يرى الانبياء في المنام ويستفاد منهم وانما المشاهد
في النوم مثالهم فاما اشخاصهم فلم ينتقل عن مواضعهم وقد ذكرت تفصيل ذلك في
كتاب عجايب القلب وكذلك القول في الجن ولذلك يرى بصور مختلفة اذ التمثيلات
لا ينحصر وجوهها كما ان كل من يرى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم لا يراه على صورة
واحدة الا ان هذه التمثيلات يكون للانبياء والاولياء في اليقظة ولغيرهم
يكون في النوم فقط وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته الا
مرتين مع كثرة رويته له في كل حين واما الكلام المسموع من المصروع فهو كلامه
وقول القايل تكلم الجن بلسانه كلام غير معقول نعم الجن سبب لوقوع خواطر

خواطر وتمثيلات وخيالات في قلبه ينبعث بسببه داعية الكلام والحركة
وكلامه مثل كلام النايم والنايم هو المتكلم لا غيره واما اخبار المصروع بالغيب
فسببه ان جميع ما يكون وما كان مسطور ثابت في شيء خلقه الله تارة يسمى
لوحا وتارة اماما وتارة كتابا كما قال الله في كتاب مبين وفي امام وثبوت الاشياء
فيه كثبوت القران في دماغ الحافظ للقران وليس مثل الرقوم المكتوبة المرتبة
في جسم متناه لان غير المتناهي لا يمكن ان يكتب في المتناهي هذه الكتبة الظاهرة
والقلب مثل مرآة واللوح مثل مرآة ولكن بينهما حجاب فاذا ارتفع الحجاب يرى
في القلب الصور التي في اللوح والحجاب هو الشغل والقلب في الدنيا مشغول واكثر
اشتغاله التفكر في ما يورده الحس عليه فانه من الحواس في شغل دايم فاذا ركدت
الحواس بالنوم او الصرع ولم يكن من فساد الاخلاط شاغل آخر في الباطن ربما يرى
في القلب بعض تلك الصور المكتوبة في اللوح وتحقيق هذا يطول وقد اشرت الى
ملامح منه في كتاب عجايب القلب ولذلك يظهر عند سكرات الموت حتى ينكشف للانسان
موضعه من الجنة فيكون بشرى او من النار والعياذ بالله فيكون نذيرا لان الحواس
يركد في مقدمات الموت قبل زهوق اللوح واما حديث غذاء الشيطان من العظم
وحصاصه وحديث الحوض والبرزخ فما عندي في تفصيل المراد به تحقيق بل
بعض ذلك مما اوصي بالكف فيه عن التاويل وبعضه مدركه النقل المحض وبضاعتي
في علم الحديث مزجاة فموضع الحوض لا يعرف الا بمجرد النقل فليرجع فيه الى الاحاديث
ويمكن ان يكون المراد به المحبس الى ان يتبين الامر وان يكون المراد به مرتبة بين
الجنة والنار لمن ليست له حسنة ولا سيئة كالمجنون والذي لم يبلغه الدعوة
والحكم بان المراد احدهما دون الآخر تخمين الا ان يدل عليه النقل والله اعلم

تم الكتاب بحمد الله وجوده

33

٣٣

26

كتاب القسطاس المستقيم تاليف الشيخ
الامام العالم الزاهد حجة الدين تاج الفرق
زين الائمة ابى حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالى الطوسى رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله • احمد الله تعالى
اولا • واصلي على نبيه ثانيا • واقول اخواني من يعدوني سمعه
لاحدثه شئ من اسماري فقد استصلني في بعض اسفاري • رفيق
من رفقاء التعليم وعافصني بالسوال والجدال معافصة من يتحدا باليد
البيضاء ولجة الغراء • وقال لي اراك تدعي كمال المعرفة فباي ميزان يدرك
حقيقة المعرفة • الميزان الراي والقياس فذلك في غاية التعارض و
الالتباس ولاجله ثار الخلاف بين الناس • او الميزان التعليم فيلزمك
اتباع الامام المعصوم المعلم وما اراك تحرص على طلبه فقلت
اما ميزان الراي والقياس فحاش لله ان اعتصم به فانه ميزان الشيطان
ومن زعم من اصحابي ان ذلك ميزان المعرفة فاسال الله ان يكفي شره عن الدين
فانه للدين صديق جاهل وهو شر من عدو عاقل • فلو رزق سعادة مذهب
التعليم لتعلم اولا الجدال من القرآن حيث قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن واعلم ان المدعو الى الله سبحانه بالحكمة قوم وبالموعظة قوم
وبالمجادلة قوم • فان الحكمة والموعظة ان غذي بها اهل الموعظة اضرتهم ضر الطفل
الرضيع التغذية بلحم الطير • وان المجادلة ان استعملت مع اهل الحكمة اشمازوا عنها
كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الآدمي وان من استعمل الجدال
مع اهل الجدال لا بالطريق الاحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوي بخبز البر
وهو لم يالف الا التمر او البلدي بالتمر وهو لم يالف الا البر • ولنا كانت له
اسوة حسنة بابراهيم الخليل صلى الله عليه حيث حاج خصمه فقال ربي الذي يحيي ويميت
فلما راى ان ذلك لا يناسبه وليس حسنا عنده حتى قال انا احيي واميت عدل الى الاوفق

لطبعه والاقرب الى فهمه فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر ولم يركب الخليل طهر اللجاج في تحقيق عجزه عن احياء الموتى او علم
ان ذلك تعسر عليه فهمه فانه ظن ان القتل اماتة من جهته وتحقيق ذلك لا يلايم
قريحته ولا يناسب حده في البصيرة ودرجته ولم يكن من قصد الخليل افنائه
بل احياؤه والتغذية بالغذا الموافق احياؤه واللجاج بما لا رتبة قاتل لما لا يوافق افناؤه
فهذه دقايق لا يدركها الا بنور التعليم المقتبس من اشراق عالم النبوة فلذلك
حرموا عن التفطن له اذ حرموا عن شرف مذهب التعليم فقال
اذا استوعرت سبيلهم واستوهنت دليلهم • فبم تزن معرفتك فقلت ازنها
بالقسطاس المستقيم ليظهر لي حقها وباطلها ومستقيمها ومايلها اتباعا لله تعالى
وتعلما من القرآن المنزل على لسان نبيه حيث قال وزنوا بالقسطاس المستقيم
فقال وما القسطاس المستقيم فقلت هو الموازين الخمس التي انزلها
الله تعالى في كتابه وعلم انبياءه الوزن بها فمن تعلم من رسول الله ووزن بميزان
الله فقد اهتدى ومن ضل عنها الى الراي والقياس فقد ضل وتردى فقال اين
الميزان في القرآن وهل هذا الا افك وبهتان قلت الم يسمع قوله تعالى الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى قوله ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان • الم يسمع قوله في سورة الحديد
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
ايظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة
ايتوهم ان الميزان المقابل بوضعه برفع السماء في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان
هو الطيار والقبان • ما ابعد هذا الحسبان • واعظم هذا البهتان فاتق الله

ولا يتعسف في القول بل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى
ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتتعلم كيفية الوزن به من انبيائه
كما تعلموا هم من ملائكته فالله تعالى هو المعلم الاول والثاني جبريل والثالث
الرسول صلى الله عليه وسلم والخلق كلهم متعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى
المعرفة الا بهم **فقال** فبم تعرف ان ذلك الميزان صادق او كاذب ابعقلك
ونظرك فالعقول متعارضة ام بالامام المعصوم الصادق القائم بالحق في العالم وهو
مذهبي الذي ادعو اليه **فقلت** ذلك اعرفه ايضا بالتعليم لكن من امام
الائمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فاني وان كنت لا اراه
فاني اسمع تعليمه الذي تواتر الي تواترا لا اشك فيه وانما تعليم القرآن وبيان صدق
موازين القرآن معلوم من نفس القرآن **فقال** هات برهانك واخرج من القرآن
ميزانك واظهر لي كيف فهمت من نفس القرآن صدقه وصحته **فقلت** له احسبك
تعرف صحة ميزان الذهب والفضة وصدقه ومعرفة ذلك فرض عين عليك اذا كان لك على غيرك
دين حتى تقتضيه تاما من غير نقصان او كان لغيرك عليك دين حتى تأخذه عددا لا
من غير رجحان واذا دخلت سوقا من اسواق الصيرف واخذت ميزانا من الموازين
وقضيت واستقضيت به الدين فبم تعرف انك لم تظلم بنقصان في الاداء او برجحان
في الاستيفاء **فقال** احسن الظن بالصيرفي واقول انهم لا يشتغلون بالمعاملة الا
بعد تعديل الميزان فان عرض لي تشكك في بعض الموازين اخذته ورفعته ونظرت الى كفة
الميزان ولسانه فاذا استوى انتصاب اللسان من غير ميل الى احد الجانبين ورأيت
بعد ذلك تقابل الكفتين عرفت انه ميزان صحيح صادق **فقلت** هب
ان اللسان انتصب على الاستواء والكفتين تحاذيا بالاستواء فمن اين تعلم

ان الميزان صادق **فقال** اعلم ذلك علما ضروريا يحصل من مقدمتين
احديهما تجربية والاخرى حسية اما التجربية فهي اني علمت بالتجربة ان
الثقيل يهوي الى اسفل وان الاثقل اشد هويا فاقول لو كانت احدى
الكفتين اثقل لكانت اشد هويا فهذه مقدمة كلية تجربية حاصلة عندي
ضرورة **المقدمة الثانية** ان هذا الميزان بعينه لم يهو احدى كفتيه بل حاذت
الاخرى محاذاة مساواة وهذه مقدمة حسية شاهدتها بالبصر فلا اشك
لا في المقدمة الحسية ولا في الاولى وهي مقدمة التجربة فيلزم في قلبي من هاتين
المقدمتين نتيجة ضرورية وهي استواء الميزان اذ اقول لو كانت احديهما
اثقل لكانت اهوى ومحسوس ليست باهوى فمعلوم انها ليست باثقل
قلت هذا رأي وقياس عقلي **قال** هيهات فان هذا علم ضروري لزم
من مقدمات يقينية حصل التيقن بها من التجربة والحس فكيف يكون
هذا رأيا وقياسا والقياس حدس وتخمين لا يفيد برد اليقين وانا احس
في هذا برد اليقين **قلت** فان عرفت صحة الميزان بهذا البرهان
فبم تعرف الصنجة والمثقال فلعله اخف او اثقل من المثقال الصحيح
فقال ان تشككت في هذا اخذت عيارا من صنجة معلومة عندي
فاذا قابلتها بها فاذا ساوى علمت ان الذهب اذا ساواه فكان مساويا
للصحيح فان المساوي للمساوي مساو **قلت** وهل تعلم واضع الميزان
في الاصل من هو وما الواضع الاول والذي وضعه منه تعلم هذا الوزن **قال**
ومن اين احتاج اليه وقد عرفت صحة الميزان بالمشاهدة والعيان بل اطلب النقل
من حيث يوثق به ولا اسأل عن الناقل فان واضع الميزان لا يراد لعينه بل يراد

ليعرف عنه صحة الميزان وكيفية الميزان وانا قد عرفته كما حكيته وعرفته فاسمعت
عن مراجعة واضع الميزان عند كل وزن فان ذلك يطول ولا يظفر به في كل حين
مع ابي في غيبة عنه قلت فان ابتغيت ميزان في المعرفة مثل هذا واصح منه
واريد عليه بان اعرف واضعه ومعلمه ومستعمله فيكون واضعه هو الله تعالى
ومعلمه جبرئيل ومستعمله الخليل ومحمد وساير النبيين عليهم السلام اجمعين •
وقد شهد الله تعالى لهم في ذلك بالصدق فهل يقبل ذلك مني وهل تصدق به قال
وكيف لا اصدق به ان كان في الظهور مثل ما حكمت به لك فقلت الآن اتوسم
فيك شمايل الكياسة وقد صدق رجائي في تقويمك وتفهيمك حقيقة مذهبك
في تعليمك فاكشف لك عن الموازين الخمس المنزلة في القرآن لتستغني به عن كل امام
ويجاوز حد العيان فيكون امامك المصطفى صلى الله عليه وسلم وقائدك
القرآن ومعيارك المشاهدة والعيان • فاعلم ان موازين القرآن في الاصل
ثلثة • ميزان التعادل • وميزان التلازم • وميزان التعاند • لاكن ميزان التعادل
ينقسم الى ثلثة اقسام الى الاكبر • والاوسط • والاصغر • فيصير الجميع
خمسة • القول في الميزان الاكبر من موازين التعادل ثم قال
هذا الرفيق الكيس من رفقاء اهل التعليم اشرح لي الميزان الاكبر من
موازين التعادل اولا واشرح لي معنى هذه الالقاب وهي التعادل والتلازم
والتعاند والاكبر والاوسط والاصغر فانها القاب عجيبة غريبة ولا
في ان تحتها معاني دقيقة قلت اما معنى هذه الالقاب فلا يفهمها الا بعد شرحها
وفهم معانيها ليدرك بعد ذلك مناسبة القابها لحقايقها • واعلمك اولا ان هذا
الميزان شبه الميزان الذي حكيته في المعنى دون الصورة فانه ميزان روحاني

فلا يساوي الجسماني ومن اين يلزم ان يساويه والموازين الجسمانية ايضا تختلف
تختلف فان القسطون ميزان والطيار ميزان • بل الاصطرلاب ميزان لمقادير
حركات الفلك والمسطرة ميزان لمقادير الابعاد في الخطوط والشاقول ميزان
لتحقيق الاستقامة والانحناء وهي وان اختلفت صورها مشتركة في انها يعرف
بها الزيادة والنقصان • بل العروض ميزان الشعر يعرف به اوزان الشعر ليتميز
منزحفه عن مستقيمه وهو اشد روحانية من الموازين المجسمة ولكنه غير متجرد
عن علايق الاجسام لانه ميزان الاصوات ولا ينفصل الصوت عن الجسم واشد
الموازين روحانية ميزان يوم القيمة اذ به يوزن اعمال العباد وعقايدهم و
معارفهم والمعرفة والايمان لا تعلق لهما بالاجسام فلذلك كان ميزانه روحانيا
صرفا وكذلك ميزان القرآن للمعرفة روحاني لكن يرتبط تعريفه في عالم الشهادة
بخلاف لذلك العلاقة اتصاف بالاجسام وان لم يكن جسما فان توقيف الغير في هذا
العالم لا يمكن الا بمساويه وذلك بالاصوات والصوت جسماني او بالكتابة وهي
الرقوم وهي ايضا نقش في وجه القرطاس وهو جسم • هذا حكم علاقته الذي يعرض فيه
وانما هو في نفسه روحاني محض لا علاقة له مع الاجسام اذ يوزن به معرفة الله
الخارجة عن عالم الاجسام المقدس عن مناسبة الجهات والاقطار فضلا
عن نفس الاجسام • ولكنه مع ذلك ذو عمود وكفتين والكفتان متعلقتان
بالعمود والعمود مشترك في الكفتين لارتباط كل واحدة منهما به هذا في
ميزان التعادل • واما ميزان التلازم فهو بالقبان اشبه لانه ذو كفة واحدة
ولكن يعادلها من الجانب الآخر الرمانة وبها يظهر التفاوت والتقدير فقال
هذه طنطنة عظيمة فاين المعنى فاني اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقلت له

اصبر ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما واعلم
ان العجلة من الشيطان والتأنى من الله واعلم ان الميزان الاكبر هو ميزان الخليل
صلوات الله عليه وسلامه الذى استعمله مع نمرود ثم نعلمك هذا الميزان لكن
بواسطة القرآن وذلك ان نمرودا ادعى الالهية وكانت الالهية عنده باتفاق
عبارة عن القادر على كل شىء فقال ابرهيم الاله الهى لانه الذى يحيى ويميت
وهو القادر عليه وانت لا تقدر عليه فقال انا احيى واميت يعنى يحيى
النطفة بالوقاع ويميت بالقتل فعلم ابرهيم عليه السلام ان ذلك يعسر عليه
فهم بطلانه فعدل الى ما هو اوضح عنده فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت
بها من المغرب فبهت الذى كفر وقد اثنى الله عليه فقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم
على قومه فعلمت من هذا ان الحجة والبرهان فى قول ابراهيم وميزانه فنظرت
فى كيفية وزنه كما نظرت انت فى ميزان الذهب والفضة فرأيت فى هذه الحجة
اصلين قد ازدوجا فتولد منهما نتيجة هى المعرفة اذ القرآن مبناه على الحذف
والايجاز وكمال صورة الميزان ان يقول كل من يقدر على اطلاع الشمس فهو الاله
فهذا اصل والهى هو القادر على الاطلاع وهذا اصل آخر فلزم من مجموعهما
بالضرورة ان الهى هو الاله دون نمرود فانظر الآن هل يمكن ان يعترف بالاصلين
معترف ثم يشك فى النتيجة او هل يتصور ان يشك فى هذين الاصلين شاك
هيهات فان قولنا الاله هو القادر على اطلاع الشمس لا شك فيه لان الاله كان عنده
وعند كل احد عبارة عن القادر على كل شىء واطلاع الشمس من جملة تلك
الاشياء وهذا اصل معلوم بالوضع والاتفاق وقولنا القادر على
الاطلاع هو الله معلوم بالمشاهدة فان عجز نمرود وعجز كل احد

سوى الله من تحريك الشمس مشاهدة بالحس ونعنى بالاله محرك الشمس ومطلعها
فيلزم منهما معرفة الاصل الاول المعلوم بالوضع المتفق عليه والاصل الثانى
المعلوم بالمشاهدة ان نمرود ليس هو القادر على تحريك الشمس فنعلم
بعد معرفة هذين الاصلين ان نمرودا ليس باله وانما الاله هو الله تعالى
فراجع الآن نفسك هل ترى هذا اوضح من المعرفة التجربية والطبية
التى بنيت عليها صحة ميزان الذهب والفضة فقال هذه المعرفة
لازمة منه بالضرورة ولا يمكننى ان اشكك فى الاصلين ولا ان اشك فى لزوم
هذه النتيجة منهما ولكن هذا لا ينفعنى الا فى هذا الموضع وعلى الوجه الذى
استعمله الخليل فى نفى الهية نمرود وافراد الالهية لمن يتفرد باطلاع الشمس
فكيف ازن بها ساير المعارف التى تشكل على واحتاج الى تمييز الحق
فيها من الباطل فقلت من وزن الذهب بميزان وزن به الفضة
وساير الجواهر لان الميزان عرف مقداره لا لانه ذهب بل لانه ذو مقدار
وكذلك هذا البرهان كشف لنا عن هذه المعرفة لا بعينها بل لانها
حقيقة من الحقايق ومعنى من المعانى فتأمل انه لم لزم هذه النتيجة
منه وتأخذ روحه وتجرده عن هذا المثال الخاص حتى ينتفع به حيث
اردنا وانما لزم هذا لان الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة
وبيانه ان ايجاب هذه الحجة ان ربى مطلع والمطلع اله يلزم منه ان ربى
اله فالمطلع صفة الرب وقد حكمنا على المطلع الذى هو صفته بالالهية
فيلزم منه الحكم على ربى بالالهية فلذلك فى كل مقام حصلت لى
معرفة بصفة الشىء وحصلت معرفة اخرى بثبوت حكم لتلك الصفة

فيتولد منهما معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة **فقال** هذا
يكاد يدق دركه عن فهمه فان شككت فيه فماذا اصنع حتى يزول الشك
قلت خذ عيارة من الصنجة المعروفة عندك كما فعلت في ميزان الذهب
والفضة **فقال** كيف اخذ عيارها واين الصنجة المعروفة في هذا الفن **قلت**
الصنجة المعروفة من العلوم الاولية الضرورية المستفادة اما من الحس او التجربة او غريزة
العقل فانظر في الاوليات هل يتصور ان يثبت حكم على صفة الا ويتعدى الى الموصوف
فاذا مر بين يديك مثلا حيوان منتفخ البطن وهو بغل وقال قائل هذا حامل فقلت
له هل يعلم ان هذا بغل فنظر فقال نعم قد عرفت ذلك بالحس والابصار فقلت
فالان هل يعرف انه ليس بحامل فلا يمكنه ان يشك فيه بعد معرفة الاصلين الذين احدهما
تجربي والآخر حسي بل يكون للعلم انه ليس بحامل علما ضروريا متولدا بين العلمين
السابقين كما تولد علمك في الميزان من العلم التجربي بان الثقيل يهوي والعلم الحسي
بان احدى الكفتين ليست هاوية بالاضافة الى الاخرى **فقال** قد فهمت هذا فهما
واضحا ولكن لم يظهر لي ان سبب لزومه ان الحكم على الصفة حكم على الموصوف
فقلت تامل فان قولك هذا بغل وصف والصفة هو البغل وقولك كل بغل
عقيم حكم على البغل الذي هو صفة بالعقم فلزم الحكم بالعقم على الحيوان الموصوف
بانه بغل وكذلك اذا ظهر لك مثلا ان كل حيوان حساس ثم ظهر لك في الدود
انه حيوان فلا يمكنك ان تشك في انه حساس ومنهاجه ان تقول كل دود حيوان
وصف الدود بانه حيوان والحيوان صفته فاذا حكمت على الحيوان بانه حساس
او جسم او غيره دخل فيه الدود لا محالة وهذا ضروري لا يمكن الشك فيه
نعم شرط هذا ان تكون الصفة مساوية للموصوف او اعم منه حتى يكون الحكم

عليه يشمل الموصوف بالضرورة وكذلك من سلم في النظر الفقهي ان كل نبيذ
مسكر وكل مسكر حرام لم يمكنه ان يشك في ان كل نبيذ حرام لان المسكر
وصف النبيذ والحكم عليه بالتحريم يتناول النبيذ اذ يدخل فيه الموصوف
لا محالة فكذلك في جميع ابواب النظريات **فقال** قد فهمت منها ضروريا ان
ايقاع الازدواج بين اصلين على هذا الوجه مولد لنتيجة ضرورية وان برهان الخليل
صلوات الله عليه وسلامه برهان صحيح وميزانه ميزان صادق وتعلمت حده وحقيقته
وعرفت عياره من الصنجات المعروفة عندي ولكني اشتهي ان اعرف مثالا لاستعمال
هذا الميزان في مظان الاشكال في العلوم فان هذه الامثلة واضحة بانفسها لا يحتاج
فيها الى ميزان وبرهان **فقلت** هيهات فبعض هذه الامثلة ليست معلومة بانفسها
بل هي متولدة من ازدواج الاصلين اذ لا يعرف كون هذا الحيوان مثلا عقيما
الا من عرف بالحس انه بغل وبالتجربة ان البغل لا يلد واما الواضح بنفسه هو
الاول فاما المتولد من اصلين فله اب وام فلا يكون اوليا واضحا بنفسه بل بغيره
ولكن ذلك الغير اعني الاصلين قد يكون واضحا في بعض الاحوال وذلك بعد التجربة
وبعد الابصار وكذلك كون النبيذ حراما ليس واضحا بنفسه بل يعرف باصلين
احدهما انه مسكر وهذا يعلم بالتجربة والثاني ان كل مسكر حرام وهذا بالخبر الوارد
عن الشارع فهذا يعرفك كيفية الوزن بهذا الميزان وكيفية استعماله
وان اردت مثالا اغمض من هذا فامثلة ذلك عندنا لا ينحصر ولا يتناهى بل بهذا
الميزان عرفنا اكثر الغوامض فاقنع منه بمثال واحد فمن الغوامض ان الانسان
ليس حادثا لنفسه اذ له سبب وصانع وكذلك العالم فاذا راجعنا هذا الميزان
عرفنا ان له صانعا وان صانعه عالم فانا نقول كل جائز فله سبب واختصاص

العالم والانسان بمقداره الذي اختص به جائز فاذن يلزم منه ان له سببا
ولا يقدر على التشكك في هذه النتيجة من سلم الاصلين وعرفهما لكن ان شك
في الاصلين فيستخرج ايضا معرفتهما من اصلين آخرين واضحين الى ان ينتهي الى
العلوم الاولية التي لا يمكن التشكك فيها فان العلوم الجلية الاولية هي اصول العلوم
الغامضة الخفية وهي بذورها ولكن يستثمرها منها من يحسن الاستثمار بالحراثة والالقاح
بايقاع الازدواج بينهما فان قلت انا سلمت الاصلين جميعا فلم قلت
ان كل جائز فله سبب ولم قلت ان اختصاص الانسان بمقدار مخصوص
جائز وليس بواجب فاقول اما قولي كل جائز له سبب فواضح اذا فهمت
معنى الجائز لاني اعني بالجائز ما تردد بين قسمين متساويين فاذا تساويا
لم يختص احدهما بوجوده وعدمه من ذاته لان ما ثبت للشيء ثبت لمثله بالضرورة
وهذا اولى ٭ واما قولي اختصاص الانسان بهذا المقدار مثلا جائز وليس بواجب
كقولي ان الخط الذي يكتبه الكاتب وله مقدار مخصوص جائز اذ الخط من حيث انه
خط لا يتعين له مقدار واحد بل يتصور ان يكون اطول واقصر واختصاصه
بمقداره عما هو اطول واقصر سببه الفاعل لا محالة اذ نسبته الى المقادير الى قبول
الخط لها متساوية وهذا ضروري كذلك نسبة المقادير الى شكل الانسان
واطرافه متساوية فتخصيصها لا محالة بفاعل ثم ارتقي منه واقول فاعله عالم لان
كل فعل مترتب محكم فيستند الى علم فاعله وبنية الانسان بنية محكمة فلا بد ان يستند
ترتيبها الى علم فاعلها ٭ فهما اصلان اذا فهمتهما لم تشك في النتيجة
احدهما ان بنية الآدمي بنية مرتبة محكمة يعرف بالمشاهدة من تناسب
اعضائه واستعداد كل واحد لمقصود خاص كاليد للبطش والرجل للمشي

ومعرفة تشريح الاعضاء يورث علما ضروريا واما افتقار المرتب المنظوم
الى عالم فهو واضح ايضا فلا يشك العاقل في ان الخط المنظوم لا يصدر الا من عالم
بالكتابة وان كان بواسطة القلم الذي يتعلم وان البناء الصالح لافادة مقاصد
الاكتنان كالبيت والحمام والطاحونة وغيرها لا يصدر الا من عالم بالبناء
فان امكن التشكك في شيء من هذا فطريقه ان يترقى منه الى اوضح منه حتى يترقى الى
الاوليات وشرح ذلك ليس من غرضنا ٭ بل الغرض ان تتبين ان ازدواج
الاوليات وشرح الوجه الذي اوقعه الخليل عليه السلام ميزان صادق مفيد لمعرفة
حقيقية ولا حاجة بك الى ابطال هذا فانه ابطال لتعليم القرآن انبياء وابطال لما اتى الله عليه
اذ قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه والتعليم لا محالة حق ان لم يكن الرأي حقا
وفي ابطال هذا ابطال الرأي والتعليم جميعا ولا حاجة بك اصلا القول في الميزان
الاوسط ٭ قال قد فهمت الميزان الاكبر وحده وعياره ومظنة استعماله
فاشرح لي الميزان الاوسط ما هو ومن اين حصل تعلمه ومن وضعه ومن استعمله
فقلت الميزان الاوسط ايضا للخليل عليه السلام حيث قال لا احب
الآفلين وكمال صورته هذا ان القمر آفل والاله ليس بآفل فالقمر ليس باله ولكن
القرآن على الايجاز والاضمار مبناه لكن العلم بنفي الالهية عن القمر ضروريا فقال
لا اشك في ان نفي الالهية عن القمر يتولد من هذين الاصلين ان عرفا جميعا لكني اعرف
ان القمر آفل وهذا معلوم بالحس اما ان الاله ليس بآفل فلا اعلمه ضرورة ولا حسا
قلت فليس غرضي من حكاية هذا الميزان ان اعرفك ان القمر ليس باله
بل اني اعلمك ان هذا الميزان صادق والمعرفة الحاصلة منه بهذا الطريق
من الوزن ضرورية واما حصل العلم به في حق الخليل اذ كان معلوما عنده

ان الآله ليس بآفل وان لم يكن ذلك العلم اوليا له بل مستفادا من اصلين
آخرين ينتجان العلم بان الآله ليس بمتغير فكل متغير حادث والآفول
هو التغير فهي الوزن على المعلوم عند محمد انت الميزان واستعمله حيث
يحصل لك العلم بالاصلين قال فهمت بالضرورة ان هذا الميزان صادق وان
هذه المعرفة يلزم اذا صارا معلومين ولكن اريد ان تشرح لي حد الميزان وحقيقته
ثم تشرح لي عبارة من الصيغة المعروفة عندي ثم مثال استعماله في مظان الغموض
فان نفي الالهية عن القمر كالواضح عندي قلت اما حده فهو ان كل شيئين
وصف احدهما بوصف فسلب ذلك الوصف عن الآخر فهما متباينان اى احدهما
سلب ذلك الوصف عن الآخر ولا يوصف به فكما كان حد الميزان الاكبر ان الحكم على
الاعم حكم على الاخص ويندرج فيه لا محالة فحد هذا ان الذي ينفى عنه ما يثبت
لغيره فهو مباين لذلك الغير فالآله ينفى عنه الافول والقمر يثبت له الافول فهذا يوجب
التباين بين الآله والقمر وهو ان لا يكون القمر آلها والآله قمرا وقد علم الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم الوزن بهذا الميزان في مواضع كثيرة من القرآن اقتداء بابيه
الخليل صلوات الله عليه وسلامه فاكتف بالتنبيه على موضعين واطلب الباقي من آيات القرآن
احدهما قوله تعالى لنبيه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق وذكر انهم ادعوا
انهم ابناء الله فعلمه الله تعالى كيفية خطابهم بالقسطاس المستقيم فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم
ولكمال صورة هذا الميزان ان البنين لا يعذبون وانتم تعذبون فانتم لستم
ابناءه فهما اصلان اما ان البنين لا يعذبون فيعرف بالتجربة واما انهم يعذبون فيعرف
بالمشاهدة ويلزم منهما ضرورة نفي البنوة الموضع الثاني قوله تعالى قل يا ايها
الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم

صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم وذلك انهم ادعوا الولاية وكان من المعلوم
ان الولي يتمنى لقاء وليه وكان من المعلوم انهم لا يتمنون الموت الذي هو
سبب اللقاء فلزم ضرورة انهم ليسوا اولياء الله وكمال صورة الميزان ان
يقال كل ولي يتمنى لقاء وليه واليهودي ليس يتمنى لقاء الله فيلزم منه انه ليس
بولي لله وحده ان التمني يوصف به الولي ويسلب عن اليهودي فيكون اليهودي
والولي متباينين يسلب احدهما عن الآخر فلا يكون الولي يهوديا ولا اليهودي
وليا فاما عبارته من الصيغة المعلومة فما عندي انك تحتاج اليه مع وضوحه
ولكن ان اردت استظهارا فانظر انك اذا عرفت ان الحجر جماد ثم عرفت ان
الانسان ليس بجماد كيف سوف منه كيف يلزمك منه ان الانسان ليس بحجر
لان الجمادية سبب الحجرية وينتفي عن الانسان فلا جرم يكون كل انسان مسلوبا عن
الحجر والحجر مسلوبا عن الانسان فلا الانسان حجر ولا الحجر انسان واما مظنة استعماله
في مواضع الغموض فيكثر واحد شطري المعرفة معرفة التقديس وما هو تقدس
عنه الرب تعالى علوا كبيرا وجميع معارفه بوزن لهذا الميزان اذ الخليل عليه السلام
استعمل بهذا التقديس وعلمنا كيفية الوزن اذ عرف لهذا الميزان نفي الجسمية
عن الله تعالى وكذلك يقول الاله ليس بجوهر متحيز لان الاله ليس بمعلول
فكل متحيز فاختصاصه بحيزه الذي يختص به معلول فيلزم منه انه ليس
بجوهر ونقول ليس بعرض لان العرض ليس بحي عالم والاله حي عالم فليس
بعرض وكذلك سائر ابواب التقديس يتولد معرفتها ايضا من ازدواج الاصلين
على هذا الوجه احدهما اصل سالب مضمونه النفي والآخر اصل موجب مضمونه

الاثبات ويتولد منها معرفة النفي والتعديل **القول في الميزان الاصغر قال**
قد فهمت ايضا هذا فهما ضروريا فاشرح لي الميزان الاصغر وحده وعياره ومظنة
استعماله من الغوامض **قلت** الميزان الاصغر تعلمته من الله تعالى حيث علمه محمدا
عم في القرآن وذلك في قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ووجه
الوزن بهذا الميزان ان يقول قولهم بنفي انزال الوحي على البشر قول باطل لازدواج
المحك من اصلين احدهما ان موسى بشر والثاني ان موسى انزل عليه الكتاب فيلزم منه
بالضرورة قضية خاصة وهي ان بعض البشر انزل عليه الكتاب ويبطل به الدعوى
العامة بانه لا ينزل كتاب على بشر اصلا   اما الاصل الاول فهو قولنا موسى
بشر فمعلوم بالحس واما الثاني وهو ان موسى منزل عليه الكتاب وكان معلوما
باعترافهم اذ كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى تبدونها وتخفون
كثيرا وانما ذكر هذا في معرض المجادلة بالاحسن ومن خاصية المجادلة انه يكفي
فيه ان يكون الاصلان مسلمين من الخصم مشهورين عنده   وان امكن الشك فيه لغيره
فان السيح يلزمه اذ كان هو معترف به واكثر ادلة القرآن على هذا الوجه فان صادفت
من نفسك امكان الشك في بعض اصولها ومقدماتها فاعلم ان المقصود بها محاجة من
لا يشك فيه   واما انت فالمقصود من حقك ان تعلم منه كيفية الوزن في سائر
المواضع واما عيار هذا الميزان فان من يقول لا يتصور ان يمشي الحيوان بغير رجل فيعلم انك
انك اذا قلت الحية حيوان والحية تمشي بغير رجل فيلزم منه ان بعض الحيوان يمشي بغير رجل وان قول من يقول
لا يمشي الحيوان الا برجل قولا باطلا منقوضا واما موضع استعماله من الغوامض فكثير فان بعض الناس مثلا
يقول كل كذب فهو قبيح لعينه فنقول من راى نبيا من الانبياء قد اختفى عن ظالم فساله

الظالم

الظالم عن موضعه فاخفاه فقوله هل هو كذب قال نعم فلما قيل هو قبيح قال لا
بل القبيح الصدق المفضي الى هلاكه فنقول له انظر الى الميزان فانا نقول قوله في اخفا
محله كذب فهو اصل معلوم وهذا القول ليس بقبيح وهو الاصل الثاني
فيلزم منه ان كل كذب ليس بقبيح فتامل الان هل يتصور الشك في هذه النتيجة
بعد الاعتراف بالاصلين وهل هذا اوضح مما ذكرته من المقدمة التجربية والحسية
في معرفة ميزان التعديل واما حد هذا الميزان فهو ان كل وصفين اجتمعا على شيء
واحد فبعض احد الوصفين لا بد ان يوصف بالاخر بالضرورة ولا يلزم به ان يوصف
بانه كله لزوما ضروريا بل قد يكون في بعض الاحوال وقد لا يكون فقد يوثق به
الا ترى الانسان يجتمع عليه الوصف بانه حيوان وانه جسم فيلزم منه بالضرورة
ان بعض الجسم حيوان ولا يلزم منه ان كل جسم حيوان ولا يوثق بامكان وصف
كل حيوان بانه جسم فان وصف كل وصف بالاخر اذا لم يكن ضروريا في كل حال
لم يكن المعرفة الحاصلة فيه ضرورية **ثم قال الرفيق** قد فهمت هذه الموازين الثلاثة
ولكن لم خصصت الاول باسم الاكبر والثاني بالاوسط والثالث بالاصغر
قلت لان الاكبر هو الذي يتسع لاشياء اكثر والاصغر خلافه والاوسط
بينهما والميزان الاول اوسع الموازين اذ يمكن ان يستفاد منه المعرفة
بالاثبات العام والاثبات الخاص والنفي العام والنفي الخاص فقد امكن ان يوزن
به اربعة اجناس من المعارف   واما الثاني فلا يمكن ان يوزن به الا النفي ولكن
يوزن به النفي العام والنفي الخاص   واما الثالث فلا يوزن به الا الخاص كما ذكرت لك
انه يلزم منه ان بعض احد الوصفين يوصف بالاخر
لاجتماعهما على شيء واحد وما لا يتسع الا للحكم الواحد الخاص فهو

فهو اصغر لا محالة نعم وزن الحكم العام به من موازين السلطان و قد
وزن به اهل التعليم بعض معارفهم والعاء السلطان في امنيه الخليل صلى الله
الله عليه وسلم في قوله هذا ربي هذا اكبر وسانلوا عليك قصته بعد هذا ان
شاء الله تع **القول في ميزان التلازم قال** اشرح لي ميزان التلازم فقد فهمت الاقسام
الثلاثة من موازين التعادل **قلت** هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومن قوله لو كان فيهما الهة كما تقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ومن قوله تعالى لو كان هولاء الهة
ما وردوها وتحقيق صورة هذا الميزان ان نقول لو كان للعالم الهان لفسد
فهذا اصل ومعلوم انه لم يفسد وهذا اصل اخر فيلزم عنهما نتيجة ضرورية
وهي نفي الهين ولو كان مع ذي العرش الهة لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
ومعلوم انهم لم يبتغوا فيلزم نفي اله سوى ذي العرش واما عيار هذا الميزان
بالصيغ قوله ان كان الشمس طالعة فالكواكب خفية فهذا يعلم بالتجربة ثم نقول
ومعلوم ان الشمس طالع وهذا يعلم بالحس فيلزم منه ان الكواكب خفية ونقول
ان لم ياكل فلان فهو شبعان وهذا يعلم بالتجربة ثم نقول ومعلوم انه اكل وهذا
يعلم بالحس فلزم من الاصل التجربي والاصل الحسي انه شبعان واما موضع
الاستعمال في الغوامض فكسر في قول الفقيه ان كان بيع الغائب صحيحا فيلزم
نصح الالتزام ومعلوم انه لا يلزم نصح الالتزام فيلزم منه انه ليس بصحيح ويعلم
الاصل الاول ومعلوم انه ما استقرى الشرع المعتمد للظن وان لم يفد العلم والثاني
تسليم الخصم ومساعدته ونقول في النظريات ان كان صنع العالم وتركيب الادمي
مرتبا عجيبا محكما فصانعه عالم فهذا في العقل اولا ومعلوم انه عجيب مرتب

فهذا

وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه ان صانعه عالم ثم نترقى فنقول ان كان صانعه
عالما فهو حي ومعلوم بالميزان الاول انه عالم فيلزم منه انه حي ثم ان كان حيا عالما
فهو قائم بنفسه وليس بعرض ومعلوم بالميزانين السابقين الاولين انه حي عالم
فيلزم منه انه قائم بنفسه وكذلك نعرج من صفة تركيب الادمي الى صفة
صانعه وهو العلم ثم نعرج من العلم الى الحياة ثم منها الى الذات وهذا هو المعراج
الروحاني وهذه الموازين سلالم العروج الى السماء الى خالق السماء وهذه
الاصول درجات السلالم واما المعراج الجسماني فلا تفي به كل قوة بل يختص ذلك
بقوة النبوة واما حد هذا الميزان فان كل ما هو لازم للشيء تابع له في كل حال
فنفي اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ووجود الملزوم يوجب بالضرورة
وجود اللازم اما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما بل هما من موازين الشيطان
وقد وزن به بعض اهل التعليم معرفته الا ترى ان صحة الصلاة يلزمها لا محالة كون المصلي
متطهرا فلا جرم يصح ان نقول ان كانت صلاة زيد صحيحة فهو متطهر ومعلوم انه غير متطهر وهو نفي
اللازم فيلزم منه ان صلاته غير صحيحة وكذلك ان قلت ومعلوم ان صلاته صحيحة وهو وجود الملزوم
فيلزم منه انه متطهر وهو وجود اللازم ∴ اما ان قلت ومعلوم انه متطهر فيلزم منه
ان صلاته صحيحة فهذا خطا لانه ربما بطلت صلاته بعلة اخرى فهذا
وجود اللازم ولم يدل على وجود الملزوم وكذلك ان قلت ومعلوم ان صلاته
ليست بصحيحة فهو اذا غير متطهر وهذا خطا غير لازم ٥ **القول**
في ميزان التعاند ∴ **ثم قال** اشرح لي ميزان التعاند واذكر لي من
القران موضعه وعياره ومحل استعماله **قلت** اما موضعه من القران فقوله تعالى
في تعليم نبيه صلى الله عليه وسلم قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله وانا

او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فانه لم يذكره في معرض التسوية والتشكيك بل
فيه اضمار اصل آخر وهو لسنا على ضلال في قولنا ان الله يرزقكم من السماء والارض
فان الذي يرزق من السماء بانزال الماء ومن الارض بانبات النبات فاذا انتم ضالون
في انكار ذلك فكمال صورة هذا الميزان انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين و
هذا اصل ثم نقول ومعلوم انا لسنا في ضلال وهذا اصل آخر فيلزم من ازدواجهما
نتيجة ضرورية وهو انكم في ضلال واما عبارته من الصحيح المعروفة وهو ان من
دخل دارا ليس فيها الا بيتان ثم دخلنا احدهما ولم نره فيه فنعلم علما ضروريا انه
في البيت الثاني وهذا الازدواج اصلين احدهما قولنا انه في احد البيتين [هذا م]
قطعا والثاني انه ليس في البيت فيلزم منهما انه في البيت الثاني فاذن
يعلم كونه في البيت الثاني تارة بان نراه فيه وتارة بان نرى البيت الاول [هذا م]
خاليا عنه فان علمناه برؤيتنا فيه كان علما عيانا وان علمناه بانا لم نره في البيت الاول
كان علما ميزانيا ويكون هذا العلم الميزاني قطعيا كالعياني واما حد هذا الميزان فهو
ان كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت احدهما نفي الآخر ومن نفي احدهما
ثبوت الآخر ولكن بشرط ان تكون القسمة منحصرة لا منتشرة فالوزن بالقسمة المنتشرة
وزن الشيطان وبه وزن بعض اهل التعليم كلام الامام في مواضع كثيرة وذكرناه في الفواصم
وفي جواب مفصل الخلاف والكتاب المستظهري وغيرهما من الكتب اما موضع هذا
من الغوامض فلا يتسع ولعل اكثر النظريات يدور عليه فان من انكر موجودا قديما
فنقول له الموجودات اما ان يكون كلها حادثة او بعضها قديم وهذا حاصر لانه بين النفي
والاثبات ثم نقول ومعلوم ان كلها ليست بحادثة فيلزم ان فيها قديمة فان قيل [دائرة]
فلم قلت ان كلها ليست حادثة فنقول لو كانت

43

كانت حادثة لكان حدوثها بانفسها من غير سبب فبطل ان يكون كلها
حادثة فيجب ان فيها موجودا قديما ونظائر استعمال هذا الميزان لا تنحصر **فان قال** قد
فهمت صدق هذه الموازين الخمس ولكني اشتهي ان اعرف القابها ولم خصصت
الاول بانه ميزان التعادل والثاني بالتلازم والثالث بالتعاند **قلت** سميت الاول
ميزان التعادل لان فيه اصلين متعادلين كانهما كفتان متحاذيتان وسميت الثاني
ميزان التلازم لان احد الاصلين يشتمل على جزئين احدهما لازم والآخر ملزوم
كقولنا لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قولك لفسدتا لازم والملزوم
قولك لو كان فيهما آلهة ولزمت النتيجة من نفي اللازم وسميت الثالث ميزان
التعاند لانه رجع الى حصر قسمين من النفي والاثبات يلزم من نفي احدهما ثبوت
الآخر ومن ثبوت احدهما نفي الآخر فبين القسمين تعاند وتضاد **فان قال** هذه الاسامي
انت ابتدعتها والموازين انت انفردت باستخراجها ام سبقك اليها **فقلت** اما
هذه الاسامي فاني ابتدعتها واما الموازين فاني استخرجتها من القرآن وما عندي
اني سبقت الى استخراجها من القرآن ولكن اصل الموازين قد سبقت الى استخراجها
ولها عند مستخرجيها من المتاخرين اسامي اخر سوى ما ذكرته وعند بعض الامم
السالفة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام اسامي اخر اذ
كانوا قد تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام ولكني بعثني على ابدال
كسوتها باسام اخر غير ما سموها ما عرفت من ضعف فطنتك وطاعة نفسك
للاوهام فاني رايتك من الاغترار بالظواهر بحيث لو سقيت عسلا احمر في
قارورة حجام لم تطقها ولم يطاوعك طبعك من الحجم وضعف عقلك عن ان يعرفك
ان العسل طاهر في اي زجاجة كان بل يرى التزكي بلبس المرقعة والدراعة

فيحكم بأنه صوفي أو فقيه ولو لبس الصوف في القباء والقلنسوة ما حكم عليه وهمك بأنه تركي الكلام
فإذا كان يسبق حكم وهمك إلى ملاحظة غلاف الأشياء دون ... وكذلك لا تنظر إلى
القول من حسن القول وذاته بل من حسن صنعته أو حسن ظنك بقائله فإذا كانت
عبارة مستنكرة عندك أو قائله قبيح الحال عندك في اعتقادك رددت
القول وإن كان في نفسه حسنا وحقا فلو قيل لك قل لا إله إلا الله عيسى رسول الله
لنفر عن ذلك طبعك وقلت هذا قول النصارى وكيف أقوله ولم يكن لك من العقل
ما توقف به أن هذا القول في نفسه حق وإنما النصارى ما مقتوا لهذه الكلمة ولا
لسائر الكلمات بل لكلمتين فقط أحدهما قولهم الله ثالث ثلاثة والثاني قولهم
محمد ليس برسول الله وسائر أقواله وراء ذلك حق فلما رأيتك وأمثالك
من أهل التعليم ضعفاء العقول لا تجاوزون الظواهر توصلت إلى حيلة تسوقك إلى الدواء في
كوز الماء تسعفك به إلى الشفاء وتلطف بك بلطف الطبيب بمريضه ولو ذكرت
أنه دواء أو وصفته في قدح الدواء لكان يشمئز عن قبوله طبعك ولو قبلك لكسر بجرعة
ولا يكاد يسيغه فهذا غرضي في إبدال تلك الأسامي وإبداع هذه يعرفه من يعرفه
وينكره من ينكره **فقال** لقد فهمت هذا كله الآن ما كشفت وعدت به من هذا
الميزان له كفتان وعمود واحد تتعلق به الكفتان جميعا وليس أرى في هذا الميزان
الكفة والعمود وأين ما ذكرته من الموازين التي هي أشبه بالقبان **قلت**
هذه المعارف ليست ... تستفيدها من أصلين فكل أصل كفة والحد المشترك
بين الأصلين الداخل فيهما عمود وأقرب لك مثالا من الفقهيات فلعله أقرب
إلى فهمك فأقول قولنا كل مسكر حرام كفة وقولنا كل نبيذ مسكر كفة أخرى
والنتيجة أن كل نبيذ حرام فههنا ثلاثة أمور فقط النبيذ والمسكر والحرام أما النبيذ فإنه يوجد
في الأصل الثاني فقط وهي الكفة الثانية وأما المسكر

مذكور

مذكور في الأصلين جميعا وهو مكرر فيهما مشترك فهو العمود والكفتان
متعلقتان به إذ تتعلق بهما كتعلق الموصوف وهو قولك كل نبيذ مسكر
فإن النبيذ موصوف المسكر والأخرى متعلقة به كتعلق الصفة بالموصوف
وهو قولك كل مسكر حرام فتأمل ذلك حتى تعرف أن فائدة هذا الميزان تارة
تكون من الكفة وتارة تكون من العمود وتارة من تعلق الكفة بالعمود على ما
التمهيد على رمز يسير منه في ميزان الشيطان فأما المشبه بالقبان
فهو ميزان التلازم إذ أحد طرفيه أطول من الآخر كثيرا فإنك تقول لو كان
يتبع الغائب صحيحا للزوم يصح اللازم وهذا أصل آخر أقصر منه فكان أشبه
بالرمانة القصيرة المقابلة لكفة القبان وأما ميزان التعادل فالتعادل
فيه كفتان وليست إحداهما أطول من الأخرى بل كل واحدة منهما
يشتمل على صفة موصوف فقط فافهم هذا مع ما عرفتك من أن الميزان الروحاني
لا يكون كالميزان الجسماني بل يناسبه مناسبة ما وكذلك نسميه تولد
النتيجة من ازدواج الأصلين إذ يجب أن يدخل شيئا من أحد الأصلين في
في الآخر وهو المسكر الموجود في الأصلين حتى تتولد النتيجة فإن لم يدخل جزء
من أحد الأصلين في الآخر لم يتولد من قولك كل مسكر حرام وكل مغصوب
مضمون نتيجة أصلا وهما أصلان لكن لم يجز بينهما نكاح وازدواج إذ ليس يدخل
جزء من أحدهما على الآخر وإنما النتيجة تتولد من الجزء المشترك الداخل من أحدهما
في الآخر وهو الذي سميناه عمود الميزان ولو فتح لك باب الموازنة بين المحسوس
والمعقول انفتح لك باب عظيم في معرفة الموازنة بين عالم الملك والشهادة
وبين عالم الغيب والملكوت ولكنه أسرار عظيمة من لم يطلع عليها حرم

الا قياس من انوار القران والتعلم منه ولم يحظ من علمه الا بالقشور وكما ان
في القران موازين كل العلوم وكذلك فيه مفاتيح كل العلوم كما اشرت اليه في كتاب
الجواهر في القران فاطلبه منه وليس الموازنة بين عالم الملك والشهادة وعالم الغيب
والملكوت الا ما يتجلى بعضه في المنام من الحقايق المعنوية في الامثلة الخيالية لان
الرويا جزء من النبوة وفي عالم النبوة يتجلى تمام الملك والملكوت ومثاله من النوم
رجلا راى في منامه كان في يده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النسا فقص روياه
على ابن سيرين فقال انك موذن تؤذن في شهر رمضان قبل الصبح فقال هو كذلك
فانظر الان لم تجلى له حاله في هذا المثال واطلب الموازنة بين هذا المثال والاذان
قبل الصبح في رمضان وربما يرى هذا الموذن نفسه يوم القيمة وفي يده خاتم من نار
ويقال له هذه الخاتم التي كنت تختم بها افواه الرجال وفروج النسا فيقول ما فعلت فيقول
نعم كنت تعلم تفعله ولكن تجهله لان هذا روح فعلك وانما تجلى حقايق الاشياء
وارواحها الا في عالم الغيب ويكون الروح في غطا من الصورة في عالم التلبيس عالم
الحس والخيال والان فقد كشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد وكذلك
يفضح من ترك حدا من حدود الشرع وان اردت له حقيقة فاطلبه من باب
حقيقة الموت من كتاب جواهر القران ترى فيه العجايب واطل التامل فيه
فعساك يفتح لك رويته الى عالم الملكوت ليسترق منه السمع فاني ما اراك
يفتح لك باب وانت انما تنظر معرفة الحقايق من معلم غايب لا تراه ولو رايته لوجدته
اضعف منك في المعرفة كسر احدهما من سافر وكتب فعالى الحصى بها سقطت **فقال**
هذا الان حديث يطول بيني وبينك اللجاج فيه وان هذا المعلم الغايب وان كنت
لم اره فقد سمعت خبره كالتلبس وان لم اره فقد رايت اثره ولقد رايت والدتي الى ان

مانت

مانت ومولانا صاحب قلعة الموت يتسلط عليه بنا ما بلغنا حتى قالوا انه المطلع
على ما يجري في العالم ولو على الف فرسخ اما كذب والذي هو المحور العقيقه
السحرة او مولانا وهو الامام الحسن السحرة كلا بل هما شاهدان صادقان
كيف وقد طابقهما على ذلك جميع رفقاي من اهل دامغان واصفهان ولهم
من الامر المطاع وفي حكمهم سلطان القلاع افترى انهم مخدوعون وهم الاذكيا
او متعمدون وهم الاتقيا هيهات دع عنك العصبية فان مولانا يطلع على ما يدبا
من غير رمية اذ لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما فاخسا ايها العوض
لعنه تجرد السماع والاصغاء فاطو طومار الهذيان وارجع الى حديث الميزان
واشرح لي ميزان الشيطان ۞ **القول في ميزان الشيطان وكيفية وزن**
اهل التعليم به فقلت اسمع الان يا مسكين شرح ميزان رفقايك فانك تعدو على ملكك
فاعلم ان كل ميزان ذكرته من موازين القران فللشيطان في جانبه ميزان يلصق
به يلتبس بالميزان الحق ليوزن فيغلط لكن الشيطان انما يدخل مواقع الثقل
من سد الثقل واحكامها امن من الشيطان ومواقع ثلمة عشره قد جمعتها وشرحتها كتابه
في محك النظر وكتاب معيار العلم الى غير ذلك من الدقايق في شروط الميزان
لم اذكرها الان لقصور فهمك عن ادراكها فان اردت معرفة جملها العتيها
في كتاب المحك وان اردت شرح تفاصيلها وجدتها في كتاب المعيار ولكن اقدم
الان انموذجا واحدا وكذلك الذي القاه الشيطان في خاطر الخليل عليه السلام اذ
اذ قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته فينسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله تعالى اياته وانما ذلك في مبادرته الى الشمس وقوله هذا

وقوله هذا ربي هذا اكبر لاجل انه اكبر اراد ان يخدعه به وكيفية الوزن به ان
الاله هو الاكبر هذا معلوم اصل معلوم بالاتفاق والشمس هو الاكبر من الكواكب
وهذا اصل اخر معلوم بالحس فيلزم منه ان الشمس اله وهي الشبهة
وهذا ميزان الصقه الشيطان بالميزان الاصغر من موازين التعادل لان
الاكبر وصف وجد للاله ووجد للشمس فيوهم ان احدهما يوصف بالاخر
وهو عكس الميزان الاصغر وحده لكن الميزان ان يوجد شيئان لشيء واحد لا ان
يوجد شيء واحد لشيئين فانه ان وجد شيئان لشيء واحد وصف بعض احدهما
بالاخر كما سبق ذكره اما اذا وجد شيء واحد لشيئين فلا يوصف احد الشيئين
بالاخر فانظر كيف يلبس الشيطان بالعكس عيار هذا الميزان الباطل الصحة الظاهرة
البطلان اللون فانه يوجد للسواد والبياض جميعا ثم لا يلزم ان يوصف البياض
بالسواد ولا السواد بالبياض بل لو قال القايل البياض لون والسواد لون فيلزم
منه ان السواد بياض لكان خطا باطلا فكذلك قوله الاله اكبر والشمس اكبر فالشمس اله
فهذا خطا احذر ان يوصف المتضادان بوصف واحد فاتصاف شيئين بشيء واحد
لا يوجد بين شيئين اتصالا اما اتصاف شيء واحد بشيئين فيوجب بين الوصفين اتصالا
اتصالا وكل من فهم ادرك التفرقة بين اتصاف شيء واحد بشيئين وبين اتصاف
شيئين بشيء واحد **فقال** قد اتضح لي بطلان هذا لكن متى وزن اهل
التعليم كلامهم به **قلت** وزنوا كلاما كثيرا اسمع على اوقاسا ان اصعبها
عكاسه لاكن اريك انموذجا واحدا فلقد سمعت كثيرا قولهم ان الحق مع الوحدة
والباطل مع الكثرة ومذهب الراي يفضي الى الكثرة ومذهب التعليم يفضي الى
الوحدة فيلزم ان يكون الحق في مذهب التعليم **قال** نعم سمعت هذا كثيرا واعتقدت هذا برهانا
نعم

واعرفه

واعرفه برهانا قطعيا ولا اشك فيه **فقلت** فهذا ميزان الشيطان انظر كيف لبس
رفقاؤك واستعملوا قياس الشيطان وميزانه في ابطال ميزان الخليل صلوات الله عليه
وسلامه وساير الموازين **قال** وما وجه تحريكه عليه **قلت**
الشيطان انما لبس في الموازين بتكثير الكلام فيه وتسويته حتى لا يعلم
منه موضع التلبيس وهذا الكلام كثيرا حاصله يرجع الى ان الحق يوصف
بالوحدة فهذا اصل وان مذهب التعليم وصف بالوحدة فهذا وصف آخر
فيلزم منه ان مذهب التعليم يوصف بالحق لان الوحدة وصف واحد فاتصف به
شيئان فيجب اتصاف احد الشيئين بالاخر كقول القايل اللون وصف واحد
فاتصف به السواد والبياض جميعا فيلزم اتصاف البياض بالسواد وكقول
الشيطان الاكبر وصف واحد يتصف به الاله والشمس فيلزم منه ان يتصف
الشمس بالاله فلا فرق بين هذه الموازين الثلاثة اذ وجد اللون للسواد والبياض
ووجد الاكبر للاله والشمس ووجد الوحدة للتعليم والحق فما يلزمهم ذلك
فقال قد فهمت هذا قطعا ولاكني لا اقنع بمثال واحد فاذكر لي مثالا آخر
من موازين رفقاي لعله يزداد حلي سكونا الى معرفة انخداعهم بموازين الشيطان
قلت اما سمعت قولهم ان الحق اما ان يعرف بالراي المحض او بالتعليم المحض واذا ابطل
احدهما ثبت الاخر وباطل ان يكون مدركا بالراي العقل المحض لتعارض العقول و
المذاهب فثبت انه بالتعليم **فقال** اني والله قد سمعت ذلك كثيرا وهو مفتاح
دعوتهم وعنوان حجتهم **قلت** فهذا وزن ميزان الشيطان الذي الصقه بميزان التعاند
وان ابطال احد القسمين يثبت الاخر ولكن شرطه ان يكون القسمة منحصرة لا منتشرة
والشيطان يلبس المنتشر بالمنحصر فهذه منتشرة ليس دايرة بين النفي والاثبات بل يمكن

بينهما قسم ثالث وهو انه يدرك بالعقل والعين جميعا وعدادها من الضياء المعلومة
بطلانها قول القائل الالوان لا تدرك بالعين بل بنور الشمس فعلينا ان نقول لا يخلو
اما ان تدرك بالعين او بنور الشمس وباطل ان تدرك بالعين لانه لا تدرك بالليل
فثبت انه تدرك بنور الشمس فيقال له ما يمكن ثم قسم ثالث وهو ان تدرك بالعين
ولكن عند نور الشمس **فقال** قد فهمت هذا ايضا لكن اريد ان تدلني شرحا
للغلط الواقع في الانموذج الاول وهو حديث الحج والوجه فان النمط لموضع
الغلط منه لطيف جدا **قلت** الغلط ما ذكرت وهو التباس اتصاف شيء واحد بشيئين
باتصاف شيئين بشيء واحد ولكن اصل هذا الغلط ايهام العكس فان من علم
ان كل واحد حج ربما ظن ان كل حج واحد وليس يلزم هذا العكس بل اللازم منه
عكس خاص وهو ان بعض الواحد حج فان قولك كل انسان حيوان لا يلزم منه عكس عام
وهو ان كل حيوان انسان بل اللازم ان بعض الحيوان انسان وللتسويل الشيطان على
الضعفاء بسد واكثر من ايهام العكس العام حتى سرى الى المحسوسات حتى ان من راى
حبلا اسود ابرق اللون يرتاع منه لشبهه بالحية ولسبقه موقفه ان كل
حية فطويل ابرق اللون فيظن منه عكسا عاما وهو ان كل طويل ابرق اللون
اسود حية الا ان كله كذلك وفي العكس والنقض دقائق كثيرة لا يحتملها الآن
من كتاب محك النظر ومعيار العلم **قال** اني اجد لكل مثال تذكرة طمأنينة اخرى
لمعرفة موازين الشيطان فلا تبخل على بمثال من موازين الشيطان
قلت ان فساد ذلك الميزان يكون تارة من نفس الكفة
وفساد طبعها التي اتخذت فانها اما ان يتخذ من حديد او نحاس
او خاس او جلد حيوان فلو اتخذ من الثلج او القطن لم يمكن

وان كان اللازم منه عكس خاص وهو ان بعض الاسود مربع

لم يمكن الوزن به والسيف تارة يفسد لخلل شكله بان يكون على هيئة العصا
غير متوض ولا حاد وتارة يكون من فساد طبعه ومادته التي منها اتخذ بان
يكون متخذا من خشب او طين وكذلك ميزان الشيطان قد يكون فاسدا لفساد
تركيبه كما ذكرته في مثال كبر الشمس ووحدة الحج فان صورتهما تجعله معكوسة
كالذي يجعل الكفتين فوق العمود فيرتفعان بردته وتارة يكون لفساد المادة
كقول ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين في جواب قوله تعالى
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين وقد
ادرج ابليس في هذا ميزانين اذ علل منع السجود وكونه حرا بانه الخير
بانه خلق من نار وادرج احد الاحيان وحد ميزانه ستقيم التركيب لكنه بعد
لكل فاسد مادة وكمال صورته ان ما خلق من نار خير والخير لا يسجد فانا اذا
لا اسجد فكلى اصلي هذا القياس ممنوع لانه غير معلوم والعلوم الحقيقة نور من
بالعلوم الجلية وما ذكره غير جلي ولا مسلم اذ نقول له لا نسلم انك خير وهذا
منع الاصل الاول والاخر انا لا نسلم ان الخير لا يلزمه السجود لان اللزوم
بالامر بالخيرية لكن ترك ابليس الدلالة على الاصل الثاني وهو ان اللزوم
بالامر بالخيرية واشتغل باقامة الدليل على انه خير لاني خلقت من نار وهذا
دعوى الخيرية بالنسب وكمال صورة دليله وميزانه ان نقول المنسوب
الى الخير خير وانا منسوب الى الخير فانا اذن خير وكلتا هاتين الكفتين ايضا فاسد
فانا لا نسلم ان المنسوب الى الخير خير بل الخيرية بصفات الذات لا بالنسب فيجوز
ان يكون الحديد خيرا من الزجاج ويتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ما هو
خير من المتخذ من الحديد وكذلك نقول ابراهيم صلوات الله عليه وسلم

خير من ولد نوح وكان ابراهيم مخلوقا من آزر وهو كافر وولد نوح من نبي واما ما قاله
اللعين وهو انه مخلوق من خير لان النار خير من الطين فهذا ايضا غير مسلم بل الطين
من التراب والماء وربما يقال بامتزاجهما قوام الحيوان والنبات وبهما يحصل
النشو والنماء واما النار فمفسدة ومهلكة للجميع فقوله ان النار خير باطل فهذه
الموازين صحيحة الصورة فاسدة المادة تشبيهها بالسيف المتخذ من الخشب بل هو
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفاه حسابه وكذا ترى اهل التعليم احوالهم يوم القيمة اذا كشف لهم
حقايق موازينهم وهذا ايضا مدخل من مداخل الشيطان ينبغي ان يستدل المادة الصحيحة
التي تستعمل في النظر كل اصل معلوم قطعا اما بالحس واما بالتجربة واما بالتواتر الكامل
او باول العقل او بالاستنتاج من هذه الجملة اما الذي تستعمل في المحاجة والمجادلة فما
يعترف به الخصم وتسلمه وان لم يكن معلوما في نفسه فانه يصير حجة عليه
وكذلك تجري بعض ادلة القرآن فلا ينبغي ان تذكر ادلة القرآن اذا امكنك التشكك
في اصولها لانها اوردت على طوائف كانوا معترفين بها **القول في الاستغناء**
بنبوة محمد صلوات الله عليه وسلامه .:. ولعل الامة عن
امام آخر معصوم وسا انا معرفة صدق محمد بطريق اوضح من الطريق المعجزة واو نق
منه وهو طريق العارفين **فقال** بعد اكمال الشفاء وكشف الغطاء واشتاتا لبد
السفا لكن بنيت مصرا وهدمت مصرا فاني الآن كيف اتوقع ان العلم ان التمسك
الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن فاذكرت
هذه الدقايق في مداخل الغلط فقد ايست من الاستقلال به فاني لا آمن ان
اغلط لو استقللت بالوزن وقد عرفت الآن انه لم اختلف الناس في هذه المذاهب

وذلك
المذاهب

وذلك انهم لم يتعلموا هذه الدقايق كما فطنت فغلط بعضهم واصاب بعضهم
فاذن اقرب الطرق لي ان اعول على الامام حتى اتخلص من هذه الدقايق **فقلت**
ان تمسكك بمعرفتك بالامام الصادق ليس ضروريا اما ان يكون تقليدا للوالدين
او موزونا بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس اوليا فانه موزون يكون حاصلا عند
صاحبه بقيام من الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت
صحة ميزان التعادل باستعمال الاصلين في ذهنك البحري والحسي وكذلك سائر
الناس وهم لا يشعرون ومن عرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لانه بغل عرفه
باستعمال الاصلين اللذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بتجريده
عليه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فان ان احدث اعتقاد
العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليد الوالدين والرفقاء
لم يتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان اخذته من
الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقايقه فينبغي على رحلك
ان لا تثق به **فقال** صدقت فاين الطريق ولقد سددت علي طريق الوزن والتعليم
جميعا **فقلت** هيهات راجع القرآن فقد علمك الطريق اذ قال ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ولم يقل سافروا الى الامام
المعصوم فاذا هم مبصرون فان تعلم ان المعارف كثيرة فلو استدات في كل مسألة
سؤالا الى الامام المعصوم لطال عناؤك وقد علمتك ولا يمكن طرقك ان تتعلم
مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان اشكل عليك شيء عرضته على المعلم ان
وتذكر به شروطه بفكر صاف وجد وافر فاذا انت مبصر وهذا كما لو
حسب ما للعمال عليك او عليه او قسمة في مسألة من مسائل الفرائض .:.

نكه

وتشككك في الاصابة والخطأ فيطول عليك ان تسافر الى الامام المعصوم ولا تكتفي بحكم
علم الحساب وبه تذكر، ولا تزال تعاوده مرة مرة بعد اخرى حتى تستيقن قطعا انك
ما غلطت ودققت من دقائقها وهذا انوقه من توقف الحساب وكذلك من توقف
الوزن به كما اعرفه فسهل به التذكر والفكر والمعاودة مرة بعد اخرى الى التيقن
الضروري بانه ما غلط فان لم يسلك هذا الطريق لم تفلح وصرت تتشكك بلعل
وعسى لعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل النبي الذي امنت به فان معرفة
صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية **فقال** لقد ساعدتني على ان التعليم حق
وان الامام هو النبي واعترفت بان كل واحد لا يمكنه ان ياخذ العلم من النبي
صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك
فلانك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فابرهانك ومعجزتك فان ادعيت ان الامامة ان يقيم
معجزة واما ان تحتج بالنص المعاقب من اباءه اليه فاين نصك واين معجزتك
قلت اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو ان
يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن ان يتعلم منه كما يتعلم مني فلا اجعل التعليم وقفا
على نفسي واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم ان الامام قد يعني به الذي يتعلم
من الله تعالى بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد يعني به الذي يتعلم
من الله تعالى ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا المعنى سمي علي اماما فانه
تعلم من الرسول لا من جبريل واما بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي اما
برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلثة انفس لو ادعوا
عندك انهم يحفظون القرآن فطلبت برهانهم فقال احدهم برهاني انه نص على الذي
الاستاد المعروف اذ نص على استادي واستادي نص على فكان الكساء نص

الكسائي نص على   وقال الثاني برهاني اني اقلب العصا حية وقال
الثالث برهاني اني اقرا جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري
اي هذه البراهين اوضح وقلبك بها اشد تصديقا فقال بالذي يقرا القرآن
فهو تمام البرهان اذ لا يختلجني فيه ريب اما نص استاذه عليه ونص الكسائي
على استاذه فمتصور ان يقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسناد واما قلب العصا
حية ففعل ذلك بطلسم وتلبيس وان لم يكن تلبيس فغايته انه فعل عجيب ومن
اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظا للقرآن **قلت**
فبرهاني انا ايضا اني لما عرفت هذه الموازين عرفتها وفهمتها وازلت الشك
عن قلبك في صحتها فيلزمك الايمان بامامتي كما تعلمت الحساب علمته من استاد فانه
اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم اخر ضروري بان استادك
حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحت دعواه ايضا في
اني حاسب وكذلك امنت انا بصدق محمد وموسى صلى الله عليهما لا بشق القمر
ولا بقلب العصا ثعبانا بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه التباس كثير فلا يوثق به
بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل فان التعارض في عالم الحس
والشهادة كثير جدا لكن بتعلمي الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف
الالهية بل احوال المعاد وعذاب اهل الفجور وثواب اهل الطاعات كما ذكرته
في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار
فتيقنت ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال
علي اذ قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف اهله فكانت معرفتي بصدق
النبي صلى الله عليه وسلم ضرورية كمعرفتك اذا رايت رجلا غريبا ناظرا في مسالك

من مسائل الفقه وتحسس فيه وتأتي بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تماري في انه
فقيه وتعلم ان الحاصل به اوضح من اليقين الحاصل بقوله ولو قلب العصا ثعبانا لان
ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيره ولا يحصل الفرق بينها وبين
معجزات الانبياء ويكون معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل منه ايمان ضعيف
وهو ايمان العوام والمتكلمين فاما ايمان ارباب المشاهدة الناظرين بالرؤية فكذلك
يكون وانا ايضا المنتهى ان اعرف النبي عم كما عرفته وقد ذكرت ان ذلك
لا يعرف الا بان يوزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح ان
جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فما علم ذلك
قلت هيهات ولا ادعي ان ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن
بها العلوم الحسابية والهندسية والطبية والفقهية والكلامية وكل علم
حقيقي غير وضعي فاني اميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو
القسطاس المستقيم والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تع
ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط واما معرفتك بقدرتي على هذا فلا يحصل الا بنص ولا بقلب العصا
ثعبانا ولكن يحصل بان تستكشف ذلك تجربة وامتحانا فمدعي الفروسية لا ينكشف
صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلني عما شئت من العلوم الالهية
لاكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك
علم ضروري بان الوزن صحيح وان العالم بصحته مستغن وما لم تجرب لم تعرف
فقال وهل يمكنك ان توقف جميع الحقائق والمعارف الالهية جميع الخلق
فيرتفع الاختلافات الواقعة بينهم قلت هيهات لا اقدر عليه وكان

امامك المعصوم الى الان رفع الاختلاف بين الخلائق وازال الاشكالات عن
القلوب بل الانبياء ما دفعوا الاختلاف وما قدروا عليه بل اختلاف الخلق
حكم ضروري ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فادعي ان
اعارض قضاء الله الذي قضى به في الازل او يقدر امامك ان يدعي ذلك فان
كان يدعي ذلك فلم ينكره الى الان والدنيا طافحة بالاختلافات وليت شعري
رئيس الائمة علي بن ابي طالب كان سبب رفع الاختلاف بين الخلق او سبب
تأسيس اختلاف لا ينقطع ابد الدهر القول في عبادة الخلق من ظلمات الاختلافات
فقال كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات قلت ان اصغوا الي رفعت الاختلاف
بينهم بكتاب الله ولكن لا حيلة في اصغائهم فانهم لم يصغوا باجمعهم الى الانبياء
ولا الى امامك فكيف يصغون الي وكيف يجتمعون على الاصغاء
وقد حكم عليهم في الازل انهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وكون الخلاف بينهم ضروري تعرفه من كتاب الله هو جواب مفصل طال وهو الفصول
الاثني عشر فقال فلو اصغوا كيف كنت تفعل قلت اعاملهم بآية واحدة
من كتاب الله اذ قال وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد الآية
وانما انزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة اصناف وكل واحد منهم
الكتاب والميزان والحديد علاج قوم فقال فمن هم وكيف علاجهم قلت الناس
ثلاثة اصناف عوام هم اهل السلامة وهم البله اهل الجنة وخواص هم اهل الذكاء والبصيرة
ويتولد بينهم طائفة وهم اهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء
الفتنة اما الخواص فاني اعالجهم بان اعلمهم الموازين بالقسط وكيفية الوزن بها
فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال احداها القريحة

النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية ولا يمكن كسبها
والثانية خلو باطنهم عن تقليد وتعصب لمذهب موروث او مسموع فان
المقلد لا يصغي وان اصغى لم يفهم الثالثة ان يعتقد فيّ انّي من اهل
اهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه
ان يتعلم منك والصنف الثاني البله وهم جميع العوام وهولاء هم الذين
ليس لهم فطنة لفهم الحقائق فان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية
الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم ايضا داعية الجدل وتحذلق
المتكايسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهولاء لا يختلفون بل يتحيرون بين
الائمة المختلفين فادعوا هولاء الى الله بالموعظة كما ادعوا اهل البصيرة بالحكمة
وادعوا اهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه هذه الثلثة في اية واحدة
كما تلوته عليك اولا فاقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه ليس اهلا لذلك فقال وماذا عملت في رأس العلم اي الايمان والتقوى
والاستعداد للآخرة اذهب فاحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه
فاقول للعامي ليس الخوض في الخلاف من عشك فادرج واياك ان تخوض فيه
او تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الحياكة لم تكن من اهل
الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف يكون من اهل العلم ومن الخوض فيه اهل
فاياك ثم اياك ان تهلك وكل كبيرة تجري على العامي اهون من ان
يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري فان قال لا بد من دين اعتقده
واعلمه

به لاصل الى المعرفة والناس مختلفون في الاديان فباي دين
تأمرني ان آخذ فاقول له للدين اصول وفروع والاختلاف انما
يقع فيهما اما الاصول فليس عليك ان تعتقد فيها الا ما في القرآن
فان الله لم يستر من عباده صفاته واسماءه فعليك ان تعتقد
ان لا اله الا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر
قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد فيه القرآن واتفق عليه
الامة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا
بالله كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها
على غاية التعظيم والتقديس ومع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس
كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور
به ولا هو على حد طاقتك فان سمعت احدا يتحذلق ويقول قد
علمت انه عالم من القرآن ولكني لا اعلم انه عالم بالذات او بعلم زائد عن
الذات فقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن
حد العوام اذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه
شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوما الا اوتيهم الجدل كذلك
ورد في الخبر فاذا التحق باهل الجدل فسأذكر علاجهم هذا ما
اعظه به في الاصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله انزل
الكتاب والميزان والحديد فهولاء اهل الحوالة على كتاب الله
واما الفروع فاقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ

من جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الآخرة هو
التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة
والنميمة والربا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات
حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك
طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا
كله فهذا جدلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذه المواضع
للخلاف افرايت رفقاوك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذ الخلاف
بمجمعهم وهيهات ما اشبه ضعف عقولهم في خلافهم الا بعقل
مريض به مرض اشرف منه على الموت وله علاج متفق عليه
عند الاطباء وهو يقول قد اختلف الاطبا في بعض الادوية
انها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوما فانا لا اعالج بشيء
حتى اجد من يعلمني رفع الخلاف فيه نعم لو رأيت صالحا قد فرغ
من حدود التقوى كلها وقال ها انا يشكل علي مسايل فانا لا
ادري اتوضا من اللمس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل
في رمضان او بالنهار الى غير ذلك فاقول له ان كنت تطلب
الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما
يتفق عليه الجميع فتوض من كل ما فيه خلاف فان كل من لا
يوجبه يستحسنه وانو بالليل في رمضان فان من لا يوجبه
يستحسنه فان قال فانه يثقل علي الاحتياط ويعرض مسايل

تدور بين النفي والاثبات فلا ادري اقنت في الصبح ام لا
واجهر بالتسمية ام لا فاقول له الان اجتهد مع نفسك
وانظر اي الايمة افضل عندك وصوابه اغلب على قلبك
كما لو كنت مريضا وفي البلد اطبا فانك تختار بعض الاطبا باجتهادك
لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل هذا الاجتهاد في امر دينك
فمن غلب على ظنك انه الافضل اتبعه فان اصاب فيما قال عند الله
فله في ذلك اجران وان اخطا عند الله فله في ذلك اجر
وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال من
اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطا فله اجر واحد
ورد الامر الى اهل الاجتهاد وقال لعلمه الذين يستنبطونه
منهم وارتضى الاجتهاد لاهله فقال لمعاذ بم تحكم قال بكتاب الله
قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فان لم تجد قال اجتهد رايي قال ذلك قبل ان امر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن له فيه فقال صلى الله
عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه
رسول الله ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله لمعاذ
وغيره كما قال الاعرابي هلكت واهلكت واقعت اهلي في
رمضان فقال اعتق رقبة ففهم ان التركي والهندي لو جامع
ايضا لزمه الاعتاق وهذا لان الخلق ما كلفوا الصواب عند الله

فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف عليه لما لا يطاق بل
كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل
بظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسة لم يلزمهم القضاء اذ نزع
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انباه
جبريل انَّ عليه قذرًا ولم يعد الصلاة ولم يستانف وكذلك لم
يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى الجهة يظن انها القبلة بالاستدلال
بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر
واحد ولم يكلفوا اداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لانّ
ذلك لا يُعرَف باطنُهُ ولم يكلفوا القضاة في سفك الدماء
واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقه
واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطا وهو ظن صدق الشهود
فلم لا يجوز بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد وليت شعري ماذا
يقول رفقاؤك في هذا ايقولون اذا اشكلت عليه القبلة يؤخر
الصلاة حتى يسافر الى الامام او يكلفه الاصابة التي لا يُطيقها
او يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد او لا يعرف ادلة القبلة
وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح قال لا اشك
في انه ياذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كُنْهَ مجهوده
وان اخطا او صلى الى غير القبلة قلت فاذا كان من جعل القبلة
خلفه معذورا ماجورا فلم تعد ان يكون من اخطا في سائر الاجتهادات

معذورا

معذورا فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم
مُصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد
الامرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم ان يتغايروا وان يتعصب
بعضهم مع بعض لا سيّما والمصيب لا يتعين وكل احد يظن انه
مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد
فحقهما ان يصلي كل واحد منهما الى الجهة التي غلب على ظنّه وان يكف
انكاره واعتراضه على صاحبه لانه لم يُكلَّف الا استعمال موجب
ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك
كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ
لكن على اعتقاد ان الخطا كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية
الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيه الشيء
من نقيضه بعد كونه مظنونا في سائر الاستعباد واما ما لا يتغير
فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل نعرفه
من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال
الظاهرة من كتاب جواهر القران واما الصنف الثالث وهم
اهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني بالتلطف الى الحق
الا اتعصب عليهم ولا اعنف ولكني ارفق واُجادل بالاحسن كذلك
امر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول
التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان الحق على الوجه الذي

اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك
لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيته الى تعليم الموازين وان لم
يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه وعناده ولجاجه عالجته
بالحديد فان الله تعالى جعل الحديد والميزان قرينه الكتاب ليفهم
به ان جميع الخلايق لا يقومون بالقسط الا بهذه الثلاث والكتاب
للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه باس شديد للذين
يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله
ولا يعلمون ان ذلك ليس من شانهم وانه لا يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طايفة
فيهم كياسة يترقون بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ
كانت في الفطرة كاملة لكن في باطنهم خبث وعناد وتقليد فذلك
يمنعهم عن ادراك للحق وتكون هذه الصفات اكنة على قلوبهم
ان يفقهوه ولكن لا يهلكهم الا كياستهم الناقصة فان الفطنة
البترا والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر
اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وتخرج من جملة
الفريقين الذين يجادلون في ايات الله واولئك اصحاب النار
ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقران وهولاء ينبغي ان يمنعوا
من الجدل بالسيف والسنان كما فعل عمر برجل اذ ساله عن ايتين
متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما فعل مالك

رضي الله تعالى عنه لما سئل عن الاستوا على العرش فقال الاستوا
حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسوال عنه بدعة
وحسم بذلك باب الجدل وكذلك فعل السلف كلهم وفي فتح باب
الجدل ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي في دعوة
الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك
بان دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان
القسط لم يقتصر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان
يعرف به مقادير اعيان لا نهاية لها كذلك من معه القسطاس
المستقيم فمعه الحكمة التي من اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا لا نهاية
له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صحت تسمية القران نورا
لان النور ما يبصر به ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق
قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فان جميع العلوم غير
موجودة في القران بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما
فيه من الموازين القسط التي تفتح ابواب الحكمة التي لا نهاية لها
فبهذا ادعو الخواص وادعو العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة
على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى
وادعو الجدلي بالمجادلة التي هي احسن فان انا اعرضت عن
مخاطبته وكففت شره بباس السلطان والحديد المنزل مع الميزان
فليت شعري الآن يا رفيقي بم يعالج امامك هولاء الاصناف الثلثة

ايعلم العوام فتكلفهم ما لا يفهمون وتخالف رسول الله صلى الله
عليه وسلم او تخرج الجدل من ادمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر
على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى
في القران مع الكفار فما اعظم قدر امامك اذ صار اقدر من الله تعالى
ومن رسوله اويدعوا اهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بعصى
موسى ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من اين يلزم منه
صدق فاعله وفي العالم من غرايب السحر والطلسمات ما يتحير فيه
العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف
جميعها وجملة انواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون
معجزة موسى اذ كانوا من ايمة السحرة ومن الذي يقوى على ذلك
بل اهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله
كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه في قوله اني
حاسب فهذه المعرفة اليقينية التي يقنع بها اولوا الالباب واهل
البصاير ولا يقنعون بغيرها البته وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القران وفهموا
موازين القران كما ذكرت لك واخذوا منه مفاتيح العلوم كلها
كما ذكرته في جواهر القران فمن اين يحتاجون الى امامك المعصوم
وما الذي حل من اشكالات الدين وعماذا كشف عن غوامضه
قا

قال الله تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
وقد سمعت الان منهاجي في موازين العلوم فاروني ماذا اقتبسته
من امامك الى الان ازما بشدي بدو شدي اري صنما اين
خلعت توز او تو ما رايتما فليس الغرض من الدعوة الى المايدة
مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون
الناس الى الامام ثم ارى المستجيب فيه بعد الاستجابة على جهله
الذي كان قبله لم تحل له عقدا بل ربما عقد له حلا ولا تفيد
استجابته له علما بل ربما زادته طغيانا وجهلا فقال قد طالت
صحبتي مع رفقاي ولكن ما تعلمت منهم شيا الا انهم يقولون عليك
بمذهب التعليم واياك والراي والقياس فانه متعارض مختلف
قلت فمن الغرايب ان يدعوا الى التعليم فاستجيب فيعلموني
ما عندكم فقال ما اراهم يزيدونني على هذا شيا قلت فاني
قايل ايضا بالتعليم وبالامام وببطلان الراي والقياس وانا ازيدك
على هذا لو اطقت ترك التقليد تعليم غرايب العلوم واسرار
القران فاستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه
موازين العلوم كلها على ما اشرت الى كيفية استيعاب العلوم منه
في كتاب جواهر القران ولكني لست ادعوك الى امام سوى محمد
صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه استخرج جميع
اسرار العلوم وبرهاني على ذلك لساني وبياني وعليك ان

تشككت بتجريدي وامتحاني افترابي اولى بان تتعلم مني من رفقايك

ام لا القول في تصاوير الرأي والقياس واظهار بطلانهما

فقال اما الانقطاع عن الرفقا والتعلم منك فربما يمنعني ما حكيته

لك من وصية والدي حين كانت تموت ولكني اشتهي ان تكشف

عن وجه فساد الراي والقياس فاني اظن انك تستضعف عقلي

وتلبس علي فتسمي الراي والقياس ميزانا وتتلو علي وفق ذلك قرانا

وانا اظنه بعينه القياس الذي يدعيه اصحابك قلت هيهات

فانا اشرح لك ما ارادوه بالراي والقياس اما الراي والقياس

فمثاله قول المعتزلة يجب على الله تعالى رعاية الاصلح لعباده واذا

طولبوا بتحقيقه لم يرجعوا الى شيء الا انه شيء استحسنوه بعقولهم

من مقايسة الخالق على الخلق وتشبيه حكمته بحكمتهم ومستحسنات

العقول هو الراي الذي لا ارى التعويل عليه فانه يفتح نتايج

تشهد موازين القران بفسادها كهذه المقالة فاني اذا وزنتها

بميزان التلازم قلت لو كان الاصلح واجبا على الله تعالى لفعله

ومعلوم انه لم يفعله فدل انه غير واجب فانه لا يترك الواجب

فان قيل تسلمت انه لو كان واجبا لفعله ولكن لا اسلم انه لم يفعله

فدل انه غير واجب فانه فاقول لو فعل الاصلح لخلقهم في الجنة وتركهم

فيها فان ذلك اصلح لهم ومعلوم انه لم يفعل ذلك فدل انه لم يفعل

الاصلح وهذه نتيجة من ميزان التلازم والان للخصم بين ان يكر

ونقول

ويقول تركهم في الجنة فنشاهد كذبه او نقول كان الاصلح ان

يخرجوا الى الدنيا دار البلاء ونعرضهم للخطايا ثم نقول لادم يوم

نكشف للخطايا اخرج بادم في بعث النار فيقول كم فيقول من

كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين كما ورد الخبر الصحيح فزعم

ان ذلك اصلح من خلقهم في الجنة وتركهم فيها لان نعيمهم اذ ذاك

لا يكون بسعيهم واستحقاقهم فيعظم المنة عليهم والمنة ثقيلة

واذا سمعوا واطاعوا كان ما اخذوه جزاء واجرة لا منة فيها

وانا انزه سمعي ولساني عن حكاية مثل هذا الكلام فضلا عن

الجواب عنه فانظر لتري قبايح نتايج الراي وكيف وانت تعلم

ان الله تعالى ينزل الصبيان اذا ماتوا منزلا من الجنة دون

منازل البالغين المطيعين فاذا قالوا الهنا لا تبخل بالاصلح لنا والاصلح

بنا ان يبلغنا درجتهم فيقول الله تعالى على زعم المعتزلة كيف

ابلغكم درجتهم وقد بلغوا وتعبوا واطاعوا وانتم متم صبيانا

فيقولون انت امتنا فحرمتنا طول المقام في الدنيا ومعالي الدرجات

في الاخرة فكان الاصلح لنا ان لا تميتنا فلم امتنا فيقول الله تعالى على

راي المعتزلة اني قد علمت انكم لو بلغتم وكفرتم واستحققتم النار

خالدين فيها فعلمت ان الاصلح لكم الموت في الصبى وعند هذا ينادي

الكفار البالغون من دركات النار يصطرخون ويقولون اما علمت

انا اذا بلغنا كفرنا فهلا امتنا في الصبى فانا راضون بعشر عشر

درجات الصبيان فعند هذا لا يبقى للمعتزلي جواب يجيب به
عن الله تعالى فيكون الحجة للكفار على الله سبحانه تعالى الله عن
قول الظالمين علوا كبيرا نعم لفعل الاصلح سر يستمد من معرفة سر
الله تعالى في القدر لكن المعتزلي لا ينظر من ذلك الاصل فانه لا
يطلع ببضاعة الكلام على هذا السر فهذا يخبط خبط عشوا
واضطربت عليه الاراء فهذا مثال الراي الباطل عندي واما مثال
القياس فهو اثبات الحكم في شي بالقياس على غيره كقول المجسمة
ان الله تعالى عن قولهم جسم قلنا لم قالوا لانه فاعل صانع فكان جسما
قياسا على ساير الصناع والفاعلين وهذا هو القياس الباطل لانا
نقول لم قلتم ان الفاعل كان جسما لانه فاعل وذلك لا يقدر على اظهاره
مهما وزن بميزان القران فان ميزانه هو الميزان الاكبر من موازين
التعادل وصورة وزنه ان يقال كل فاعل جسم والباري فاعل فهو
جسم فنقول مسلم ان الباري فاعل ولكن لا نسلم الاصل الاول وهو
ان كل فاعل جسم فمن اين عرفتم ذلك وعند هذا ما يبقى لهم الا
الاعتصام بالاستقراء والقسمة بالسبر اما الاستقراء فهو ان
يقول تصفحت الفاعلين من حايك وحجام واسكاف وخياط ونجار
وفلان وفلان فوجدتهم اجساما فعلمت ان كل فاعل جسم فيقال له
تصفحت كل الفاعلين او شذ عنك فاعل فان قال تصفحت البعض فلا
يلزم ما عداه كيف وهل تصفحت في جملة ذلك فاعل السموات والارض
فان

فان لم يتصفح الكل بل البعض لم يلزم الكل وان تصفح فهل وجده
جسما فان قالوا نعم فيقال لهم فاذا وجدت ذلك في مقدمة قياسك
فكيف جعلته اصلا يستدل به عليه فجعلت نفس وجدانك
دليل ما وجدته وهذا خطا بل هو في تصفحه الا كمن يتصفح الفرس
والابل والفيل والحشرات والطيور فيراها تمشي برجل وهو لم ير
الحية وكثيرا من الدود فيحكم بان كل حيوان يمشي برجل وكمن
يتصفح الحيوانات فيراها عند المضغ جميعها تحرك الفك الاسفل
فيحكم بان كل حيوان تحرك عند المضغ الفك الاسفل وهو لم ير
التمساح فانه يحرك الفك الاعلى وهذا لانه يجوز ان يكون الف
شخص من جنس واحد على حكم ويخالف الالف واحد وهو لا يفيد
برد اليقين وهو القياس الباطل واما اعتصامه بالقسمة
المنسبرة فقوله سبرت اوصاف الفاعلين فكانوا اجساما
لكونهم فاعلين او لكونهم موجودين او كيت وكيت ثم يبطل جميع
الاقسام فنقول فيلزم من هذا انهم اجسام لكونهم فاعلين
وهذه هي القسمة المسبرة التي بها يزن الشيطان مقاييسه
وقد ذكرنا بطلانها فقال اظن انه اذا بطل ساير الاقسام تعين
القسم الذي اراده وارى هذا برهانا قويا عليه نعم بل اكثر
المتكلمين في عقايدهم فانهم يقولون في مسئلة الروية الباري
تعالى مرئي لان العالم مرئي وباطل ان يقال انه مرئي لانه

ذو بياض لان الاسود يرى وباطل ان يرى لكونه جوهرا لان
العرض يرى وباطل ان يكون لكونه عرضا لان الجوهر يرى واذا
بطلت الاقسام بقي ان يرى لكونه موجودا فاريد ان تكشف
لي عن فساد هذا الميزان كشفا ظاهرا لا اشك فيه **فقلت**
فانا اورد في ذلك مثالا لاحقا استنتج من قياس واكشف الغطاء
فيه فاقول قولنا العالم حادث حق ولكن قول القايل انه حادث
لانه مصور قياسا على البيت وساير الابنية المصورة قول باطل
لا يفيد العلم بحدث العالم اذ يقال بيرانه للحق ان يقال كل مصور
حادث لا نسلمه والعالم مصور فلزم منه انه حادث والاصل
الاخر مسلم لكن قولك كل مصور حادث لا يسلمه الخصم وعند
هذا نعدل الى الاستقراء فنقول استقرات كل مصور فوجدته
حادثا كالقدح والبيت والقميص وكيت وكيت وقد عرفت
فساد هذا وقد يرجع الى السبر فنقول البيت حادث فنسبر
اوصافه وهو انه جسم وقايم بنفسه وموجود ومصور
فهذه اربع صفات وقد بطل تعليله بكونه جسما وقايما بنفسه
وموجودا فثبت انه معلل بكونه مصورا وهو الرابع فيقال له
هذا باطل من وجوه كثيرة واذكر منها اربعة **الاول** انه ان سلم
لك بطلان الثلاث فلا تثبت العلة التي طلبتها فلعل الحكم معلل
بعلة قاصرة غير عامة ولا متعدية لكونه مثلا بيتا فان ثبت

كون

58

كون البيت محدثا فلعل الحكم معلل بالمعنى القاصر على ما ظهر كونه
حادثا اذ يمكن تفرده بوصف خاص يجمع الجميع ولا يتعدى
الثاني انه انما يصح هذا اذا تم السبر على الاستقصاء بحيث لا
يتصور ان يشذ قسم واذا لم يكن حاصرا بين النفي والاثبات
دايرا تصور ان يشذ منه قسم وليس الاستقصاء الحاصر امرا هينا
والغالب انه لا يهتم به المتكلمون والفقهاء بل يقولون ان كان
فيه قسم اخر فابرزه وربما قال الاخر لا يلزمني ابرازه وطال
اللجاج فيه وربما استدل القايس وقال لو كان فيه قسم اخر
لعرفناه وعرفته فعدم معرفتنا يدل على نفي قسم اخر اذ عدم
رؤيتنا الفيل في مجلسنا يدل على نفي الفيل ولا يدري قط هذا
المسكين انا لم نعهد فيلا حاضرا لم نره ثم رايناه وكم راينا معاني
حاضرة عجزنا جميعا عن ادراكها ثم تنبهنا لها بعد مدة فلعل
فيه قسم اخر شذ عنا نتنبه له الان وربما لم نتنبه له طول
عمرنا **الثالث** انا وان سلمنا الحصر فلا يلزم من ابطال ثلاثة
ثبوت رابع بل التركيب الذي يحصل من اربع يزيد على عشرة
وعشرين اذ يحتمل ان يكون العلة احاد هذه الاربعة او اثنين
منها او ثلثة منها ثم لا يتعين الاثنان منها ولا الثلثة بل يتصور ان
يكون العلة كونه موجودا او جسما او موجودا وقايما بنفسه
او موجودا وبيتا او بيتا ومصورا ادميا وقايما بنفسه او بيتا

وجسما او جسما ومصورا او جسما وقايما بنفسه او جسما
وموجودا او قايما بنفسه وموجودا فهذه بعض تركيبات
الاثنين فقس على هذا التركيبات من الثلاث ولكن الحكم الاكثر ان
الاحكام تتوقف على وجود اسباب كثيرة مجتمعة فليس يرى
الشيء لكون الرائي ذا عين اذ لا يرى بالليل ولا لاستنار المروي
بالشمس اذ لا يرى الاعمى ولا لهما اذ لا يرى الهوى ولكن بجملة
ذلك مع كون المروي متلونا وامور اخر هذا حكم الوجود اما
حكم الرؤية في الاخرة فحديث اخر وتركيبا الترتيب واثنان
ثلثه لا يوجب تعلق الحكم بالرابع مطلقا بل باختصار الحكم في
الرابع ينقسم قسمين والحكم يتعلق باحدهما ارايت لو قسم
اولا وقال اما كونه جسما او موجودا او قايما بنفسه او مصورا
مثلا بصورة مربعة او مصورا بصورة مدورة ثم ابطل الاقسام
الثلثه لم يتعلق الحكم بالصورة مطلقا بل ربما اختص بصورة
مخصوصة فليست الغفلة عن مثل هذه الدقايق غلط المتكلمين
وكثر نزاعهم اذ تمسكوا بالراي والقياس وذلك لا يفيد برد
اليقين بل يصلح الفقهية الظنية ولامالة قلوب العامة الى
صوب الصواب والحق فانه لا يمتد فكرهم الى الاحتمالات البعيدة
بل تنخرم اعتقاداتهم باسباب ضعيفة اما ترى العامي الذي
به صداع يقول له غيره استعمل ماء الورد فاني اذا كان بي صداع
استعملته

استعملته فانتفعت به كانه يقول هذا الصداع ينفعه
ماء الورد قياسا على صداعي فيميل قلب المريض فيستعمله ولا
يقول اثبت اولا ان ماء الورد يصلح لكل صداع كان من البرودة
او من الحرارة او من ابخرة المعدة وانواع الصداع كثيرة فاثبت
ان صداعي كصداعك ومزاجي كمزاجك وسني وصنعتي واحوالي
كاحوالك فان جميع ذلك يختلف به العلاج فان طلب هذه الامور
ليس من شان العوام لانهم لا يتشوفون اليها ولا من شان المتكلمين
لانهم وان تشوفوا الى خلاف العوام فلا يهتدون الى الطريق
المفيدة برد اليقين وانما هي من شنشنة قوم عرفوها من احمد
صلى الله عليه وسلم وهم قوم اهتدوا بنور الله تعالى الى
ضياء القرآن واخذوا منه الميزان القسط والقسطاس
المستقيم فاصبحوا لله قوامين بالقسط فقال الان هو ذا
يلوح لي مخايل الحق وتباشيره من كلامك فهل تأذن لي ان اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا قلت هيهات انك لن تستطيع معي
صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا فقلت اتظن اني نسيت انغاظك
بنصيحة رفقائك ووالديك ومن نبض عليه عرق من عروق
التقليد فلا تصلح لصحبتي ولا اصلح لصحبتك فاذهب عني فهذا
فراق بيني وبينك فانا مشغول بنفسي ثم بقيتي عن تقويمك

وما التعلم من القرآن عن تعليمك فلا تراني بعد هذا ولا اراك
فلا تسمع اوقاتي اكثر من هذا الاصلاح الفاسد والضرب في الحديد
البارد وقد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين والحمد لله رب
العالمين والصلاة على محمد نبينا سيد المرسلين فهاكم
اخواني قصتي مع رفيقي تلوناها عليكم بعجرها وبجرها لتقتصوا
منها العجب وتشنعوا في اثبات هذه المحادثات لامور هي اجل
من تقويم مذهب التعليم فلم يكن ذلك من غرضي ولكن اياك
اعني واسمعي يا جارة والتماسي من المحصلين قبول معذرتي
عند مطالعة هذه المحادثات فيما ابرمه في المذهب من العقد
والتحليل وابدعته في الاسامي من التغيير والتبديل واخترعته
في المعاني من التخييل والتمثيل ولي تحت كل واحد غرض صحيح وسر
عند ذوي البصائر صريح واياكم ان تغيروا هذا النظام
وتنزعوا هذه المعاني من هذه الكسوة فقد علمتم كيف يوزن
المعقول بالاسناد الى المنقول ليكون القول منها اسرع الى
القبول واياكم ان تجعلوا المعقول اصلا والمنقول تابعا ورديفا
فان ذلك بشع منفر وقد امركم الله سبحانه بترك التشنيع والجدال
بالاحسان فاياكم ان تخالفوا الامر فتهلكوا وتهلكوا وتضلوا وتضلوا
وماذا ينفع وصيتي وقد اندرس الحق وانكسر البوق وانتشرت
الشناعة فطارت في الاقطار وصارت صكة في الامصار فات

قوما

قوما اتخذوا هذا القرآن مهجورا وجعلوا التعليمات النبوية
هباء منثورا وكل ذلك من قصور الجاهلين ودعواهم في
نصرة الدين منصب العارفين وان كثيرا ليضلون باهوائهم
بغير علم ان ربك هو اعلم بالمهتدين اخر كتاب القسطاس
المستقيم والحمد لله وصلواته على رسوله
سيدنا محمد النبي واله
وسلم تسليما



ه